ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 39 - العدد 1102 - الجمعة 2 محرم 1426 هـ - الموافق 11 فبراير 2005

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

معاني الهجرة النبوية

المؤمن الصادق يرضى بالقدر

لقد خلق الله خلقه وفق إرادته ولا راد لقضائه (**إنا كل شيء خلقناه بقدر**) القمر الآية 49. فالمسلم الذي تحكم الإيمان في قلبه وسلوكه لا يزعجه شيء، ولا يظن أنه سيغير ما قدر الله له فيقابل المقدور بأن الله يهدي ويضل، ويعطي ويمنع، (**إن الله على كل شيء قدير يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير**) سورة العنكبوت، الآيات: 19-20-21

فنحن في حقيقة الأمر وجوهره مسيرون غير مخيرين، فالله عمم دعوته ونادى جميع مخلوقاته لامتثال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه وخصص بتوفيقه من قدر عليه الهداية: "**ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**" سورة طه، الآية:50.

فلنمارس توجيهنا للبشرية قصد الهداية وسلوك السبيل المستقيم بالأسلوب الرحماني المرن المتشبع بالإيمان بالله الذي يجب التسليم لما فعل، والرضا بما قضى، فالمتصرف في المكونات حقيقة هو الله عز وجل، فمن رضي بقضائه وقدره يؤجر، أي: ينال الأجر، ومن لم يرض بهما يؤزر، أي: ينال الوزر، فواجب علينا الرضا بما قدر الله، ولا شك أنه هو الذي فيه الخير (الله أدرى بمصالح عباده) (لو اطلعتم على الغيب لوجدتم ما فعل ربكم خيرا) يقول بعض العلماء: (إن الله خلق الأشياء من ذرات وخلايا تخضع في كمها وكيفها لنسب دقيقة دائمة وتؤدي أغراض وجودها في خط لا تضل عنه ولا تحيد) هكذا يتصرف ربنا في خلقه حسب ما يريد ويقضي (**إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم**) سورة آل عمران الآيتان: 73 - 74.

فليكن الداعية لطيفا في توجيهه، معتقدا أن الذي يهدي هو ربنا، والذي يمنع من الإيمان الصحيح هو الله، فلا تذهب نفس الواعظ على من يرشد حسرة إن فهم أن نصيحته لم تؤثر لأنه ليس له من الأمر شيء، ومن المعلوم والمشاهد المعاش أن من الخلق من استهزأ بالدين وذهبت به المغريات المادية وشغلته عما فيه صالح حاله ومآله وأعمت بصره وبصيرته فلم يتبين له الحق حتى يتبعه، ولا عرف ما يجر الباطل من تبعات حتى يتجنبه، فهذا قدره، نعوذ بالله من سوء قضائه... ومن هنا أهيب بالداعية أن يتوجه لنفسه ويصلحها ويرجو من الله أن لا يسلبه الإيمان وأن يختم له بالسعادة، كما أرجوه أن يخاطب فصيلته الإنسانية بلطف وإنصاف وأن يستعمل في توجيهه الكلمة الطيبة، وأن يكون قدوة للآخرين في قوله وعمله وأخلاقه، ولا يفوته أن الله خلق من اتخذ دينه لهوا كما قال تعالى: "**الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا**" الأعراف، الآية: 51.

فالله خلق من يكفر به وبما جاء به أنبياؤه لذلك فما علينا إلا أن ننصح ونبشر في إرشادنا لمخلوقاته ولا ننفر، ونيسر ولا نعسر، ونكون ربانيين رحمانيين: "**ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون**" سورة ابراهيم، الآيتان: 24 - 25.

فالكلمة الطيبة لها وقعها في النفوس، وتقرب ولا تبعد، وتؤثر في النفس، وكم أهدت من ضال وأرجعت إلى الجادة من حاد عن الطريق، ولذلك فقد أمر الله بأن ندعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة وبالأسلوب الجذاب المقبول قال تعالى "**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**".

ويبقى دائما في حسبان الداعية أن من يضلل الله فلا هادي له ويريح نفسه من التعصب والتزمت والتحجر الفكري، فعليه بنفسه وليعلم أنه إذا كان مستقيما فلن يضره ضلال الآخرين ولا انحرافهم ولا معصيتهم، وليس معنى هذا أن يتخلى الداعية عن توجيهه ووعظه وإرشاده وتحذيره لفصيلته البشرية من الضلال والكفر والغواية ولكن توجيهه يكون بالأسلوب الذي ينص عليه الأثر من التبشير وعدم التنفير كما أومأت إلى ذلك في هاته الكلمة التي أقصد منها أن الداعية يستمر في دعوته إلى الله ولا يمل ولا يكل ولكنه يسلك السبيل النافع في هداية البشرية... لاشك أن من وظف حياته لخدمة فصيلته الإنسانية قصد هدايتها سيزرع له في طريقه السوية كثير من الأشواك من أعداء الدين وسيلصق به من سفاسف الكلام وأراجيف الأقوال الشيء الكثير قصد توقيفه عن سيره في طريقه المستقيم التي ينجو سالكها ويجتني من عمله الرباني كل خير، فالكلمة الطيبة أجرها كثير وربحها وفير.

فيا دعاة الهداية إلى الله عليكم أن تقنعوا بأخلاقكم الحميدة وسلوككم المستقيم كل من تعرف عليكم أو سمع عنكم فأفضل هذه الأمة كما تعلمون الآلف المألوف، وسددوا وقاربوا، وارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، واثبتوا على التمسك بما أمركم الله به واجتناب ما نهى عنه، وانشروا المحبة والسلم والتآخي بين أبناء الإنسانية، ولنبتعد عن كل ما يورث غضب الرحمان ولا نشرك به شيئا، جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: الشرك أخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلماء وأدناه أن تحب على شيء من الجور وأن تبغض على شيء من العدل وهل الدين إلا الحب والبغض؟ ثم تلا: "**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم**" سورة آل عمران، الآية:31.

فلنبق على نهج السلف الصالح سائرين بمرونة ولطف ومحبة وهدوء في السلوك والعلاقات والأخلاق ولا نعبأ بقول المنافقين الذين أعمى الله بصيرتهم وأمات ضميرهم، وبين كتاب الله ماذا يقولون قال تعالى "**وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا**".

فلنصبر على ما يقال فينا من كذب وبهتان ولا نتركه يؤثر في مسيرتنا الدعوية السلمية الرحمانية، فالقصد هو نفع البشرية وتقويم سلوك الضال بالتي هي أحسن مع العلم مسبقا أن من كتب الله عليه الضلالة فلا هادي له.

وفقنا الله لما يرضيه، كما نرجوه أن يهدينا فيمن هدى بفضله وجوده وكرمه إنه سميع مجيب.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

انقسام الحقوق إلى المتفاوت والمتساوي والمختلف

ماهية التقوى وحقيقتها

تهاني رابطة علماء المغرب بحلول السنة الهجرية الجديدة 1426هـ

يحتفل العالم الإسلامي مغربا ومشرقا بطلعة المنة الهجرية الجديدة 1426هـ وبهذه المناسبة السعيدة تتقدم رابطة علماء المغرب وأسرة تحرير جريدتها "ميثاق الرابطة" ومجلتها "الإحياء" وكتابها الأفاضل إلى مولانا أمير المؤمنين حامي حمى الملة والدين والمدافع عن حوزة هذا البلد الأمين جلالة الملك محمد السادس نصره الله وأعز أمره داعين له الله بالتوفيق والسداد حتى يحقق لأمته ماتتطلع إليه من عز ومجد، وأن يجمع الله على يديه كلمة المسلمين ويوحد صفهم، ويحرر بجهوده الحكيمة والرشيدة مقدسات المسلمين في القدس الشريف، ويعم بجهوده الحثيثة السلم والسلام والوئام بين سائر الأنام، بجاه جده الأمين خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، وأن يقر عينه بولي عهده الأمير مولاي الحسن، و يشد أزره بشقيقه السعيد سمو الأمير مولاي رشيد وبجميع أفراد الأسرة الملكية الشريفة، وأن يعيد أمثال أمثال هذه الذكرى السعيدة على جلالته وهو يرفل في ثوب النصر والعز والتمكين، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

التوجيهات الإسلامية في الحجة النبوية

-8-

في الأعداد السابقة تكلمنا عن الحج كركن من أركان الإسلام ورأينا فيه كثيرا من الأحكام الشرعية انطلاقا من الآيات القرآنية ومن الأحاديث النبوية، وكانت حجة الوداع التي أداها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين فيها منهج الحج في الإسلام قولا وعملا بالمرجعية الأصلية لكل من يريد التفقة في شؤون الحج.

ودراسة فقه الحج تفرض على الباحث أن ينزل إلى مستوى التفصيل ليعرف المسلم مايجب عليه أن يفعله في الحج، فإذا تركه كله أو بعضه كيف يتم علاج الموقف، وللحج ظروف، خاصة، كما أن من يريد أداء الحج عليه أن يعرف مايجب عليه أن لايفعله، منهيات، فإذا حصل شيء من ذلك كيف يتم معالجة الأمر، هل يبطل كل شيء أو يعوض بعمل إيجابي آخر، تحليل الموضوع يحتاج إلى وقفة قصيرة مع أركان الحج ووفقة كل ركن بإيجابيته وسلبياته، وأركان الحج كما نعلم جميعا أربعة : الاحرام، والسعي، والطواف، والوقوف بعرفات.

وإذا كان مصطلح الفرض والواجب في الفقه المالكي عموما يعني بطلان الفعل المقصود إذا تم الإخلال به فإنه في فقه الحج تم التمييز بين مايقال عنه فرض وينتهي فعل الحج بتركه وبين ماهو واجب ويعوض بالهدي بذبح شاة أو الاشتراك في بقرة أو ناقة عند الإخلال بالفعل.

فالأركان الأساسية في أداء مناسك الحج هي الأربعة التي أشرنا إليها سابقا، وترك واحد منها نتيجته بطلان الفعل وهو الحج وفساده وعدم الاعتداد به.

وفي هذا يقول الناظم الفقيه عبد الواحد بن عاشر في قصيدته:

الحج فرض مرة في العمـــر
أركانـــه أن تركت لم تجبر.
الإحرام والسعي، وقوف عرفة
ليلة الأضحى والطواف ردفه

فالإحرام هو القصد إلى أداء مناسك الحج بنية خالصة لله تعالى عند الوصول إلى الميقات وهو المكان المعين من الشارع لكل قادم من الجهات الأربع، الشمال والجنوب والشرق والغرب ويستثنى من ذلك سكان مكة القاطنين داخل منطقة الحرم المكي فإنهم يحرمون من بيوتهم، كما يستثنى الحجاج المتمتعون وهم الذين دخلوا البلد الحرام بقصد الحج لكن قدموا الإحرام بالعمرة من الميقات، وتحللوا فاصبحوا متجردين من أعمال الحج والعمرة وحل لهم ماكان ممنوعا عليهم، غير أنهم عليهم أولا مقابل هذه الاستفادة أن يقدموا هديا يذبح في مكانه وهذا واجب مقابل الرخصة التي نفذوها واستفادوا من وضعهم العادي أيام الإحرام، ويجب على هؤلاء الاستعداد للإحرام بالحج بالصعود لمنى والوقوف بعرفات وذلك في اليوم الثامن أو التاسع من ذي الحجة ليتمكنوا من الوقوف الكامل بجبل عرفة.

ويتم الإحرام زيادة على النية بأداء مناسك الحج بالتجرد من المخيط والمحيط في الميقات وميقات أهل المغرب بالنسبة لسكانه هو الجحفة، ويحرم منها أهل افريقيا كلها ومسلمي أوروبا وأمريكا، غير أن هؤلاء جميعا إذا قدموا زيارة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرجوا من المدينة بقصد الحج مباشرة فإن ميقاتهم ينتقل إلى ذي الحليفة وهو ميقات الإحرام لأهل المدينة ومن مرعليها من غير أهلها.

وهناك مواقع أخرى للشروع في الإحرام بالنسبة للقاصدين مكة بحج أو عمرة وهي يلملم لسكان اليمن والهند، وقرن المنازل لسكان نجد، وذات عرق للعراق وأقدم من مر عليه، ولايشترط الوقوف على عين المكان للإحرام، ولكن يكفي محاذاته أو مواجهته من إحدى الجهات المحيطة بالميقات.

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرقي

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

الفتى ابن العربي المعافري يتعرض في رحلته للمخاطر والصعاب

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

لقد نبغ ابن العربي في سن مبكرة جدا، ولاعجب في ذلك، فهو ابن أسرة علمية لها الوجاهة والمكانة في إشبيلية، ونالت حظوة عند أمراء بني عباد، وبدأ الفتى ابن العربي في أخذ العلم منذ طفولته الأولى، وشدا في المعرفة وأخذ من سائر فنونها بنصيب وافر، ودرس علم الكلام، بالرغم من أن علماء الأندلس في معظمهم كانوا يتهيبون هذا العلم، وتعرف على مقولاته ومقاصده وأهدافه، واستطاع أن يلم بمذاهب أصحابه، واستوعب أقوال المعتزلة، والرافضة، والباطنية وغيرهم، وعرف مواطن الضعف عند كل فريق، وأماكن الخلل والزلل في تفكيرهم، وأسعفته ذاكرته القوية ومواهبه الفطرية، فهو قوي الحجة بارع في المناظرة، يستحضر الشواهد والنصوص، والأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، يتجلى هذا بوضوح في كتابه «العواصم من القواصم»، وهو في رحلته إلى المشرق تعرض لامتحانات عسيرة ولمواقف في غاية الخطورة، ولولا علمه وذكاؤه لما استطاع الخلاص مما تعرض له، إن الفترة التاريخية التي رحل فيها ابن العربي إلى المشرق كانت فترة عصيبة جدا، امتحن فيها العبيديون أهل السنة امتحانا عسيرا(×) ونكلوا بهم فقتل من قتل، وعذب من عذب، ونجا من نجا بلطف ورحمة من الله تعالى، فالعبيديون الفاطميون، هم أول من شق عصا الطاعة على هيبة الخلافة الإسلامية، فبعدما استتب لهم الأمر بتونس، وسموا أنفسهم بالخلافة، وتجرأوا على مقام الخليفة العباسي، فلقبوا أنفسهم خلفاء، والمنشقون قبلهم لم يتجرأ أحد منهم على ذلك، وكانوا يكتفون بلقب أمير، أو ما في معناه، كسيف الدولة، وعضد الدولة، أو أمير الأمراء... ولما علم بذلك عبد الرحمن الناصر بالأندلس أعطى لنفسه لقب خليفة، وبذلك أصبح بالعالم الإسلامي ولأول مرة ثلاثة خلفاء واحد ببغداد وآخر بالمهدية بتونس، والثالث بقرطبة بالأندلس، فكان العبيديون أول من هتك حرمة الخلافة، لقول النبي صلى الله عليه وسلم الوارد في صحيح مسلم "إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما.." (كتاب الإمارة).

في هذه الفترة العصيبة من تاريخ المسلمين رحل ابن العربي رفقة والده إلى المشرق بقصد الحج وطلب العلم، وبعد نجاتهما من الغرق بالبحر بسواحل ليبيا، وصلا إلى مصر وكانت قد دخلت تحت نفوذ العبيديين، ويشير إلى ذلك في كتابه (العواصم من القواصم) فيقول وهو يتحدث عن نحلة هؤلاء القوم: "وهذه أول بدعة لقيت في رحلتي، فإني خرجت من بلادي على الفطرة، فلم ألق في طريقي إلا من كان على سنن الهدى، يغبطني تديني، ويزيدني في يقيني، حتى بلغت بلاد هذه الطائفة وزرت بها قبر عمرو، ولعله يقصد قبر عمرو بن العاص بمصر، فماجاني من أقوالهم... كلمات غرارة، خاتمتها نبذ الحقيقة والشريعة، والاسترسال على الإباحة... فلما رأيت هذه الحماقات أقمت على حذر إلى أن يقول: الحمد لله الذي أعذر وأنذر، وثبت، وبصر، هذه أرض ينبغي أن يشد إلى الاعتصام فيها الحزام، وترددت فيها على أقوام، لم يكن عندهم إلا العقائد السليمة..." فابن العربي عند ماحط الرحال بالقاهرة كان يتردد على علماء السنة الذين منعوا من التدريس والخطابة والإمامة ولزموا منازلهم، فكان يلتقى بهم خفية في القرافة حسب موعد يتفق معهم عليه، يقول: "فلبثت فيهم ثمانية أشهر، لم يبق باطل إلا سمعته، ولا كفر إلا شوفهت به ووعيته، "تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا"(مريم/الاية:90) ويقول عن الشيعة العبيديين: "وهم لم يدعوا للرحمن ولدا، ولكنهم جاءوا بأعظم من ذلك كفرا وعنادا، مع انهماك في الكفر، واستهتار، وانحلال عن ربقة الديانة، والمروءة والحشمة وخلع العذار، فسبحان المهمل لهم من ملك جبار..." فابن العربي قد عرف من نحلة العبيديين الفاطميين الشيء الكثير، عرف ذلك بالمخالطة، وبما سمعه عنهم ومنهم، بمصر، ثم واصل رحلته إلى الشام، فيقول: "ثم خرجت عنهم إلى الشام، فوردت بيت المقدس، طهره الله، فألقيت فيه ثماني وعشرين حلقة، ومدرستين، إحداهما للشافعية بباب الأسباط، والأخرى للحنفية بإزاء مدرسة أبي عقبة، وكان فيه من رؤوس العلماء، ورؤوس المبتدعة على اختلاف طبقاتهم".. وكان النفوذ العبيدي قد وصل إلى الشام في هذه الآونة، وكان علماء السنة صامدين أمام نحلة العبيديين، بالاضافة إلى ما كان هناك من أحبار اليهود، ورهبان النصارى، وفرق أخرى، وعمل ابن العربي على دراسة مذاهب هؤلاء، ويقول: "فأوفيت على المقصد من طريقه، ووعيت العلم بتحقيقه، ونظرت إلى كل طائفة، وناظرتها بحضرة شيخنا أبي بكر الفهري" ابن العربي عندما وصل إلى الشام وإلى القدس بصفة خاصة وجد سوق المناظرات رائجةبين الطوائف والملل والنحل، وكان عليه أن يستعد لدخول في غمارها، وهو الفتى الذكي المتقد ذكاء، فدرس مقولات القوم وفهمها، ووعاها، وبذلك أصبح مطمئن القلب مرتاح الضمير، واثقا من نفسه، وزاد في طمأنته شيخه أبو بكر الطرطوشي الذي كان يلازمه ببيت المقدس، والذي سماه بأبي بكر الفهري، فكان يحضر دروسه ودروس غيره من علماء السنة وزادت معرفته بمقالات أصحاب الملل والنحل، ويقول ابن العربي: إنه نزل إلى الساحل من بلاد الشام، كان مملوء بالنحل الملحدة، والمذاهب الباطنية، والامامية، وطاف بمدن الساحل يدعو إلى مذهب أهل السنة نحوا من خمسة أشهر إلى أن نزل بعكا، وكان رأس الإمامية بها حينئذ أبو الفتح العكي، وبها من أهل السنة شيخ يقال له الفقيه الدينوري، قال: "فاجتمعت بأبي الفتح في مجلسه، وأنا ابن العشرين، فلما رآني صغير السن كثير العلم، غزير القول، مصيب القصد، منذلقا مدربا، ولع بي، وفيهم لعمر الله، وإن كانوا على مذهب باطل، انطباع وإنصاف، وإقرار للرجل بفضله إذا ظهر، واعتراف، فكان لايفارقني، ويسارعني في السؤال والجدال، ولايفاترني، فتكلمت على إبطال مذهب الإمامية، والقول بالتعليم من الإمام المعصوم بما يطول ذكره"فابن العربي خالط القوم وجالسهم، وهؤلاء ألين والطف من العبيديين، وجادل الإمامية في انفراد الإمام بالمعرفة، وأن قولهم هذا راجع إلى القول بالحلول، وقال لمن يجادله منهم: "أمات الإمام المبلغ عن الله لأول مأمره بالتبليغ؟ أم هو مخلد؟ فقال لي: مات، وليس هذا بمذهبي، ولكنه تستر معي به، وإنما حقيقة مذهبه أن الله سبحانه يحل في كل معصوم فيبلغ عنه، فالمبلغ هو الله، لكن بواسطة حلوله في آدمي، فقلت هل خلفه أحد؟ فقال خلفه وصيه علي، فقلت له: فهل قضى بالحق، وأنفذه أم لا؟ قال لم يتمكن لغلبة المعاند، قلت له: فهل أنفذه حين قدر؟ قال: منعته التقية، ولم تفارقه من يوم العهد إلى يوم الموت، إلا أنها كانت تقوى تارة، وتضعف أخرى، فلما ولى بقيت من التقية بقية، فلم يمكن إلا المداراة للأصحاب، ليلا ينفتح عليه من الاختلال أبواب، قلت وهذه المداراة هي حق أم لا؟ قال: باطل أباحته الضرورة، قلت: فمن بعده إلى الآن وجدوا القدرة أم لا؟ قال: لا، قلت فالدين مهمل، والحق مجهول مخمل، قال: سيظهر، قلت: بمن؟ قال: بالإمام المنتظر، قلت: لعله الدجال، قال: فما بقي أحد إلا ضحك، وقطعنا الكلام على غرض مني، لأني خفت أن أفحمه فينتقم مني، في بلاده".

فابن العربي أنهى الحوار، قبل وصوله إلى نقطة الإفحام، خوفا على نفسه، وهو غريب في هذه البلاد، ومع ذلك شاع الحديث عن هذه المناظرة، وسمع بها رئيس الطائفة الاسماعيلية الباطنية (×) فطلب أن يجتمع به لمناظره، وأوعز بذلك إلى أبي الفتح العكي رئيس الإمامية بهذا الإقليم الذي أبلغه أن رئيس الطائفة الإسماعيلية رغب في الكلام معه، فاعتذر ابن العربي بأنه مشغول، ومع ذلك ألح عليه أبو الفتح حتى قبل، وكان اللقاء بمسجد بالمحرس، قلعة على البحر بعكا، والمحرس شامخ البنيان، صعد ابن العربي فوجد القوم في انتظاره، ورأى النكر في وجوههم، فسلم وقصد جهة المحراب وصلى تحية المسجد، وهو يرتب أفكاره، ويرى من خلال الطاقات أمواج البحر تتكسر على الحجارة السوداء في أساس البناء الشاهق، يقول: وقد اجتمعت إلى نفسي، فقلت لها: أهون ميتة وأشرفها، وأنت تناضل عن الدين الحق" وبينما هو في هذه الهواجس، ناداه أبو الفتح وأشار بيده إلى فتى حسن الوجه، قائلا: هذا سيد الطائفة ومقدمها، فوجد ابن العربي التحية ودعا له، فخاطبه الفتى الوسيم بقوله وهو مقطب الوجه: بلغتني مجالسك، وانتهى إلي كلامك، وأنت تقول: قال الله، وفعل الله، فأي شيء هو الله؟ الذي تدعو إليه، وتكثر من ذكره؟ خبرني، وبين لي هذه المخرقة التي جازت لك على هذه الطائفة الضعيفة؟

. ويقصد الإمامية، أما هو رئيس الطائفة الإسماعيلية، فشيء آخر حجبه قوية، ومتجرئ على الله ورسوله، والسلطة بيده، ويتكلم وهو معتز بنفسه... وبهذه اللهجة أصبح موقف ابن العربي حرجا جدا، وألهمه الله إلى أن يبدأ جوابه بالكلام عن أدوات الاستفهام، فوصف مخاطبه بالذكاء، وحسن اختيار أحسنها في سؤاله، وأنه باستعماله "أي" المناسبة للمقام، دل على براعته وحكمته، فأدوات الاستفهام كثيرة واختياره (لأي) من بينها، وترك سائرها، ناتج عن ضلوعه في المعرفة، وأخذ يبين معاني حروف الاستفهام وأدواته، وكل حرف متى يسأل به، وكيف يستعمل.. كل ذلك في فصاحة وبلاغة، واسترسال، أخذ بانتباه القوم، ثم ختم كلامه بأن موضوع السؤال يحتاج إلى جلسة أخرى، قال ذلك في أدب جم، وأسلوب أخاذ، أعجب به السائل، وقال أحد الحاضرين، ما هذا الصبي إلا بحر زاخر من العلم، وخرج ابن العربي من هذا الحصن فرحا بالخلاص، وهو لايلوي على شيء، بعد أن قال للقوم: هذا مجلس عظيم، يحتاج إلى كلام طويل، وإلى تفصيل وبيان، وأجل ذلك إلى وقت آخر... ولم يطمئن على نفسه إلا بعد مغادرته لهذا المحرس الذي كل شيء فيه يوحي بالقسوة والعنف.

الهوامش

«الطائفة الاسماعيلية تتميز عن فرق الشيعة الأخرى بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق، الذي اختلفوا في كيفية موته، وقالوا: بعد اسماعيل ولده محمد، وهو السابع الذي تم دور السبعة به، ومنه ابتداء الأئمة المستورين الذين كانوا يسيرون في البلاد سرا، ويظهرون الدعوة جهرا» وقالوا لن تخلو الأرض ممن إمام حي قائم ظاهر مكشوف، أو باطن مستور، وإذا كان الإمام مستورا فلابد أن يكون دعاته ظاهرين، ويقولون من مات ولم يعرف أمام زمانه مات ميتة جاهلية، وبعد الأئمة المستورين كان ظهور المهدي بالله، والقائم بأمر الله، الذي سميت به مدينة المهدية بتونس أول أمراء الفاطميين.

وأشهر ألقاب الإسماعيلية: الباطنية، والقرامطة والمزدكية، والتعليمية، والملحدة، وهم يفخرون بتميزهم عن فرق الشيعة الأخرى باسم الإسماعيلية، وهم قد خلطوا كلامهم بكلام الفلاسفة، وصنعوا كتبهم على مناهجهم، وقالوا في الباري تعالى: "إنا لانقول هو موجود، ولا : لا موجود، ولا عالم، ولا جاهل، ولاقادر، ولاعاجز (عن الشهر ستاني باختصار) ولعل رئيس الطائفة الإسماعيلية الذي التقى به ابن العربي بالشام، قصد بسؤاله: «فأي شيء هو الله؟ ليعرف مذهبه في الله الذي يدعو إليه.

«» ينظر في هذا: العواصم من القواصم لابن العربي، بتحقيق د: عمار طالبي، ص: 46 ومابعدها، الأخذ بتصرف مع تعرف وتعليق، والمحافظة على مضمون كلام المؤلف.

«يرجع في امتحان العبيديين لأهل السنة، إلى ترتيب المدارك للقاضي عياض، وإلى «البيان المغرب لابن عذاري المراكشي، وإلى: التعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا...

(تتمة ص1)

ويشير الفقيه عبد الواحد بن عاشر إلى أماكن الإحرام في البيتين الآتيين:

إحرام ميقات: ذوالحليفة
لطيب: للشام ومصر الجحفة
قرن نجد، ذات عرق للعراق
يلملم اليمن آتيها وفاق

ومن تجاوز الميقات و لم يحرم بالنية والتجرد من المخيط والمحيط، فعليه هدي لإخلاله بأحد واجبات الإحرام.

وواجبات الإحرام بعضها مشترك بين الرجل والمرأة وهي: التلبية عقب الإحرام مباشرة إلى زوال يوم عرفة ويتوقف عنها المحرم عند الطواف أو السعي، ثم يعود إليها بعد ذلك، أما الواجبات التي تضاف على الرجال دون النساء فهي التجرد من المخيط والمحيط ،كشف الراس فإن هذا من واجبات الذكور دون الإناث.

وإذا أخل الحاج بأحد هذه الواجبات فإنه يعوضه بهدي يذبح في مكانه.

وهناك أفعال أخرى تكون خلال الإحرام ومرتبطة به، لكن إذا تركها المحرم وفاتته لاشيء عليه، ولكنه يعتبر مقصرا في المحافظة على السنن وهي مايسمى فقهيا بسنن الإحرام وهي أربعة:

1. وصل التلبية بالإحرام، بمعنى أن يشرع في التلبية بمجرد مايدخل في حالة الإحرام، والنماط التلبية يرددها الناس فرادى وجماعات "لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك، إن الحمد، والنعمة لك والملك، لاشريك لك"ويرفع الرجل بها صوته وحده، .

2. السنة الثانية للإحرام: الغسل الكامل كغسل الجمعة، وينفذه الرجل والمرأة على حد سواء، بل إن المرأة حتى لو كانت معفية من الصلاة لموانعها المعروفة شرعا فإنها تغتسل للإحرام كالرجل.

3. لبس الإزار والرداء كقطعتين منفصلتين ونعلين للرجلين، وهذه السنة خاصة بالرجال لأن النساء لايغيرن لباسهن للإحرام.

وإذا كانت ظروف الحاج لاتسمح له بهذه السنن وذلك اعتبارا لمرور الطائرة فوق الميقات دون توقف، وعدم إمكانية الغسل في الطائرة فإن الحاج عليه أن يعمل مايندب قبل الصعود للطائرة ولو في بيته.

4. والمندوب الرابع المشترك هو صلاة ركعتين بعد الغسل وقبل الإحرام وقبل الشروع في التلبية، وهناك سنن أخرى مرتبطة بالإحرام كالاقتصار في التلبية على اللفظ المعروف، وتجديدها كلما توقف لسبب من الأسباب.

والمحرمات على المحرم أربعة أشياء:

التعرض للحيوان البري، استعمال اللباس المخيط والمحيط، استعمال الطيب والدهن ، مباشرة النساء.

وسنتناول إن شاء الله بقية أعمال الحج.

الوثاق

التخصيص بالنية من اعتبار شرط المنافات

للعلامة
عمر بن
عبد الله
بن عمر
الفاسي

الأستاذ :
إدريس
كـرم

الحلقة الأخيرة

الحمد لله ملهم الحق ومفيده، ومبدىء الخلق ومعيده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث لإقامة الدين وتسديده، وعلى ءاله وصحبه القائمين بنصره وتاييده، وبعد فيقول العبد الفقير إلى الله سبحانه عمر بن عبد الله بن عمر الفاسي وفقه الله بمنه،

لما وقفت على ما قرره الإمام شهاب الدين القرافي رحمه الله في مسالة التخصيص بالنية من اعتبار شرط المنافات، وعلى ما سطره العلامة ابن القاسم بن الشاط في مخالفته من القواعد والاعتراضات، دعتني داعية التعلق بتحقيق المسائل، وبغية الولوع بتحرير المقاصد والوسائل، أن أتعرف كنه الحقيقة في صورة النزاع، وأن لا أجتزء فيها بمجرد التقليد والاتباع، فاوريت زندجدى، وأعملت النظر جهدي، فلاح لي وجه الحق فيها مع الشهاب، وأيقنت منه الإصابة دون شك ولا ارتياب، فعند ذلك أبرزته للعيان، وبينته في مجلس الدرس أحسن بيان، ثم رأيت أن أرسمه في مسطور، وأرقمه في رق منشور، ليتم وضعه، ويعم نفعه، وبالله تعالى أستعين، فهو القوي المعين،

.... فاي اجتماع يلزم مع تنافي القولين فهذا ونحوه مما يقضي من إيراده العجب، ولولا ما نشا من الاغترار بهذا الكلام لكان الإعراض عن مثل هذه المباحث أولى، وأما قوله وكون اللفظ مستقلا أو غير مستقل لا مدخل له إلخ. فصحيح وليس في كلام الشهاب ما يخالفه، فلا وجه لإيراده، ولم يزد ابن الشاط فيما كتبه عن بقية الجواب على قوله مسلم ولا يلزم منه المقصود، وقد اتضح اللزوم فلا وجه لإنكاره.

❖ ❖ ❖ ❖

ثم قال الشهاب ما نصه: ومجموع هذه الأسئلة والأجوبة يتقرر عندك الفرق الواضح بين النية الخاصة ببعض الأنواع الموافقة للفظ، وبين الصفة الخاصة ببعض الأنوع الموافقة للفظ هـ، فكتب ابن الشاط عليه ما نصه: لم يتقرر ما قال على الوجه الذي زعم، بل لا فرق إلا من جهة المفهوم، ولا قائل به في مثل مسألة الحالف إلا من لا يعتبر قوله، والله تعالى اعلم هـ.

❖ ❖ ❖ ❖

أقول قد تقرر وتحرر الجواب المذكور لذا من القى السمع وهو شهيد، فما بقي إلا الإنصاف والاعتراف.

❖ ❖ ❖ ❖

قال الشهاب وهذا آخر الكلام في هذا الفرق، وهو من المباحث الجليلة التي يجب التنبيه لها، والغفلة عنها توجب الفسوق، وخرق الإجماع في الفتيا في دين الله تعالى بما لا يحل بسبب الجهل بسبب هذا الفرق هـ، فكتب ابن الشاط ما نصه: لا توجب الغفلة عن هذا الفرق فسوقا ولا خرق إجماع، بل القائل أن يقول التنبه لهذا الفرق يوجب ذلك، والله تعالى اعلم انتهى.

❖ ❖ ❖ ❖

أقول قد أوضحنا حقيقة هذا الفرق بما يجب الإصغاء إليه، وبينا والحمد لله اضمحلال تلك الشبه بما لا مزيد عليه، فماذا بعد الحق إلا الضلال، وما عسى أن يفيد المراء والجدال، والحق أحق أن يتبع، ومن خرج عنه فقد ابتدع، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل، فإن قلت لا خفاء بصحة كلام الشهاب، وقد أمطت عن محياه النقاب، لكن في بعض عبارات أهل المذهب ما يوهم خلاف ما قرره من الفرق المذكور، كقول صاحب التلقين، فإن قصد معنى عاما وعبر عنه بلفظ خاص، أو معنى خاصا وعبر عنه بلفظ عام، حكم بنيته وكقول ابن يونس ولو حالف لا يأكل سمنا وقال نويت سمن ضان فله نيته في هذا في الفتيا دون القضاء، وكقول ابن المواز وأما ما يقبل منه في الفتيا دون القضاء، فهو كمن حلف لا يفعل شيئا ولم يذكر تأبيدا، ثم قال نويت شهرا أو حتى يقوم فلان، وذلك أنه أظهر يمينا تدل على التأبيد، وادعى ما يقطع التأبيد، فيصدق في الفتيا ولا يصدق في القضاء.

❖ ❖ ❖ ❖

وكقوله في المدونة ومن حلف بطلاق أو عتق أن لا يشتري ثوبا فاشتراه أو شيئا من صنف سماه، وقال نويت ذلك الصنف أو حلف أن لا يدخل هذه الدار ثم دخلها بعد شهر، وقال أردت شهرا فله نيته في الفتيا لا في القضاء، إن قامت عليه بينة فربما يتمسك بهذه العبارات ونحوها ممن يريد معارضة الشهاب، كما نقل ذلك عن العلامة أبي موسى ابن الإمام قائلا تأملوا كثرة ما وقع من مسائل المذهب أنه لا يحنث بغير ما نوى، ولا يفيدون بأن شرط ذلك أن يتعرض عند نية ما نوى من الافراد إلى إخراج غيره، فلو كان ما ذكر صحيحا لنبهوا عليه إلا أن يقال نية الحالف بعض الافراد عند اليمين تستلزم إخراج غيره هـ، فنقول من تقرر لديه الفرق المذكور لا يعسر عليه إجراء هذه العبارات على وفقه وتمشيتها على طريقه، فإن النية في جميعها مخصصة، أما قول صاحب التلقين أو معنى خاصا وعبر عنه بلفظ عام فمعناه أن الحالف استعمل العام في الخاص فعبر به عنه وقد سبق معنى استعمال العام في الخاص في كلام الشهاب، وهذا لائح من قوله، وعبر عنه، فالعجب من مورده، وكذا قول ابن يونس، وقال نويت سمن ضان، فمعناه أنه نوى بقوله سمنا سمن ضان لا معنى استعماله فيه لا أنه استحضره في نيته ذاهلا عن غيره.

❖ ❖ ❖ ❖

وأما قول الحالف أردت شهرا في مسألة ابن المواز والمدونة فمعناه أردت لا أدخلها شهرا فمتعلق الإرادة هو التحديد بشهر، وهذا واضح من قول ابن المواز وادعى ما يقطع التأبيد، إذ معلوم أن مجرد استحضار شهر في نيته لا يقطع التأبيد وهذا كله ظاهر لمن تأمل وانصف، وحمل هذه العبارات ونحوها على صورة التاكيد بالنية تعسف لا يليق التمسك به في معارضة القواعد.

❖ ❖ ❖ ❖

وأما قول ابن الإمام أنهم لم يقيدوا ذلك باشتراط التعرض في النية لإخراج بعض الافراد فجوابه أنهم إنما تكلموا في هذه الفروع بحسب ما فهموه من نية الإخراج، لأنه المتبادر إلى الفهم كما بيناه، وإلا فالتقييد هو مقتضى القواعد، فلا حاجة إلى التنبيه عليه في الفروع، وأما قوله إلا أن يقال نية الحالف بعض الافراد عند اليمين تستلزم إخراج غيره، فإن أراد أن نية بعض الافراد باللفظ العام على معنى استعماله فيه تستلزم إخراج الغير فصحيح وهو حاصل ما وجهت به الحكم في هذه الفروع فلا ترد على الشهاب وان أراد أن نية بعض الأفراد أي مجرد القصد إليه تستلزم إخراج الغاية فواضح البطلان لظهور أن لا ملازمة بينهما.

❖ ❖ ❖ ❖

فإن قلت ما الفرق بين الوجهين والقصد إلى بعض في كليهما قلت: القصد في الاولى له تعلق باللفظ بحيث يكون مقصودا به ذلك البعض وهو معنى استعماله فيه بخلافه في الثانية، فبين إرادة الشيء في نفسه وإرادته باللفظ فرق جلي، ثم قال ابن الإمام حسبما نقل عنه ما نصه: ونوقش يعني الشهاب بما نقل في الفرق الثلاثين ومائة من الخلاف في تأثير النية تقييدا وتخصيصا في المدلول عليه التزاما فقالت الحنفية لا تؤثر، وبقية الفرق تؤثر كالمطابقة ومثله بقوله والله لا أكلت وذكر عن الشافعية والمالكية أن يجوز أن ينوي مأكولا بعينه فلا يحنث بغيره.

❖ ❖ ❖ ❖

قالوا ونقله هذا الخلاف يناقض ما نقل من الإجماع هـ.

❖ ❖ ❖ ❖

أقول لفظ الشهاب في المحل المذكور المسألة الرابعة في الموطن الذي اختلف العلماء في الاكتفاء فيه بالنية وهو ما دل اللفظ عليه التزاما قالت الحنفية لا تؤثر النية فيه تقييدا ولا تخصيصا وقالت بقية الفرق تؤثر النية في المدلول التزاما كالمطابقة من غير فرق ومثلوا هذه المسألة بقول القائل والله لا أكلت، فقالت الفرق المالكية والشافعية يجوز أن ينوي مأكولا معينا ولا يحنث بأكل غيره، وقالت الحنفية لا يجوز دخول النية هاهنا وإن نوى بطلت نيته، وحنث بأي مأكول أكله، فإن اللفظ إنما دل مطابقة على نفي الأكل الذي هو المصدر، لأنه مدلول التزامي، ثم اندفع بذكر حجج الفريقين بمحل حكايته الإجماع تخصيص العام المدلول عليه بالمطابقة أو التضمن بالنية المنافية دون المؤكدة ومحل حكايته الخلاف تخصيص العام المدلول عليه التزاما بالنية المنافية أيضا، فالمحلان متباينان، ولا تناقض مع تباينهما فإن قيل حيث كان مذهب المالكية وغيرهم ما عدا الحنفية أنه لا فرق بين المدلول الالتزامي وغيره أنه يجوز أن ينوي مأكولا بعينه فيهما فلا يحنث بغيره فهذا عين ما أنكره على معاصريه وحكى الإجماع على ما هداهم فيه، وذلك تناقض.

❖ ❖ ❖ ❖

قلنا لا تناقض لأن المعاصرين اخطئوا حيث حكموا بعدم التحنيث بغير المنوي في صورة النية المؤكدة لأن الإجماع على اعتبار العموم حيث لا مسقط له والنية المؤكدة لا تسقط وكيف تسقطه وهي مؤكدة له بحكمهم فيها بعدم الحنث بغير المنوي خطا بإجماع والمالكية وغيرهم حكموا بعدم الحنث حيث تكون النية منافية وتلك صورة التخصيص فمعنى قولهم يجوز أن ينوي مأكولا معينا فلا يحنث بغيره أنه يجوز أن يقصد مأكولا معينا يكون المحلوف عليه فلا حنث بغيره وهو ظاهر إذ لا وجه لحنثه بغيره بل مع الذهول عنه وذلك واضح ولما نقل العلامة ابن مرزوق كلام ابن الإمام هذا قال حسبما نقل عنه ما نصه: وفيما ألزم نظر منع من ذكره ما يستدعي الكلام من الطول كما منع ذلك من ذكر ما قال وما قيل عليه إذ لا يمكن نقله والغفلة عما فيه من البحث لأنها مسألة يحتاج إلى تحقيقها من يتعرض للفتيا خصوصا في الايمان هـ.

❖ ❖ ❖ ❖

ولعله يشير إلى ما ذكرناه والله تعالى أعلم، وقد تم الغرض المقصود من كلام الشهاب بمنة الملك الوهاب، فالحمد لله كما ينبغي لجلالته والشكر له كما يليق بكماله، وصلى الله على شيذنا ومولانا محمد وآله وكان الفراغ من تبييضه صبيحة يوم الخميس عاشر المحر الحرام فاتح ع 116 عرفنا الله خيره ، ووقانا ضيره.

في ظلال الحديث

الحديث الثاني والعشرون والمائة: كيف تتعامل مع والديك

نص الحديث:

عن أنس بن مالك قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سره أن يمد له في عمره ويزاد له في رزقه فليبر والديه"رواه أحمد.

الحلقة الثانية

■إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

.... بعدما تعرضنا في الحلقة السابقة لبعض ما قد يعرض الولد لسخط والديه، ويكون والعياذ بالله من الخاسرين، وبينا بعضا من الوسائل المعينة على برهما والإحسان إليهما، ولم نذكر النصوص القرآنية والحديثية، التي تبين أهمية البر إليهما وفضل ذلك إيمانا بأن النصوص معروفة، بل محفوظة، لكن تنزيلها وقع فيه التهاون، وحال بين المرء وهذا الفضل الجزيل، نزغات الشيطان، وهمسات النفس والهوى، أو زوجة أنانية غير منصفة، ورفقة شر فاسدة مفسدة... ومن باب زيادة الفضل فضل، هذه أساليب أخرى تجلب رضا الوالدين... سردا دون شرح مفصل...

3. أساليب تجلب رضا الوالدين:

1. ألا تحد النظر إليهما أثناء الحديث معهما، بل انظر إليهما بوجه بشوش، يدل على الرضا والاحترام، رغم ما قد يتبادر إلى ذهنك أن كلامهما قد عفا عنه الزمن، ولم يصبح صالحا..انظر واستمع إليهما وأنت تعلم علم اليقين أنهما سبب وجودك، ولهما عليك من الفضل مايحصيه ويعلمه إلا الله...

2. لاترفع صوتك عليهما، أثناء الحديث، أو طلب شيء أو الاستفسار عن شيء، فإن ذلك يؤذيهما، والله سبحانه نهى عن الأف، ورفع الصوت أكبر، ولذا وجب الحذر...

3. لاتسبقهما بحديث، وإن كان من الأدب ألا يتكلم في وجود من هم أكبر سنا منه وبلا شك فالوالدان أعظم حقا من سائر الكبار.

4. لاتجلس أمامهما وهما قيام، إكراما لهما وإحياء للأدب النبوي.

5. لاتؤثر نفسك عليهما بطعام ولابشراب، ففي قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة، وكيف أن أحدهم ظل واقفا باللبن على باب والديه حتى طلع الفجر فشربا قبل أن يشرب هو وأولاده، وهذا تنبيه لبعض الغافلين الذي يؤثرون أزواجهم عن آبائهم، فيخص زوجته بشيء خاص بالنساء وكأنه لايعلم أن أمه امرأة تسرها الهدية، وخاصة من ولدها فلذة كبدها...

6. طلب الاستغفار من الوالدين، ورضا الوالدين مطلب.. فمهما أحسن إليهما من إحسان وصنع إليهما من معروف فلن يوفيهما حقوقهما.

7. ألا تسب والديك ولاتجلب لهما السباب... كما في الحديث الصحيح: "إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل يارسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال صلى الله عليه وسلم: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه"رواه مسلم.

8. أن لايرى لنفسه فضلا إن أحسن إليهما كان الإحسان، فلو حمل أحدهما على كتفيه وقصد به مكة المكرمة، وحج به راجلا، أثناء ذهابه وإيابه، وطوافه... فلن يؤدي حق لحظة حنان واحدة، ولكن ليحسن وليحتسب.

9. إذا الولد ذا مال وجاه، فليحذر أن يتنصل من مسؤوليته تجاه والديه، وليخفض لهما جناح الذل من الرحمة، وليتواضع لهما غاية التواضع، فإنه مهما كان وبلغ أمره، فإنهما سبب وجوده، ونعمته، وهو وماله لوالديه، كما قرر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

10. أن يستأذنهما ويستشيرهما في كل أموره، وأن يطيعهما في غير مامعصية...

4. أمور إن فعلها الولد مع والديه لم تكن من العقوق:

1. شهادة الحق على الولدين، خاصة إذا كان عليهما حق... فهذا ليس من العقوق في شيء، بل هي عين البر.

2. ترك التعصب الجاهلي والجدال عن الآباء بالباطل... وليتذكر المؤمن أن هذه العصبيات تنقطع يوم يقوم الأشهاد...

3. عدم الحلف بالآباء، فليس من البر أن تحلف بهما بل هذا عمل محرم وهو شرك.

4. عفو الولد عن قاتل أبيه، خاصة القتل الخطأ... فإن الثار المتبادل فساد في الأرض .

5. تحاكم الولد مع والده... فإنه إذا ظلم الوالد ولده فرفعه الولد إلى القضاء، فهذا ليس من العقوق إذا كان لرفع ظلم أو لإثبات حق أو لفض نزاع... أما إذا كان ذلك لإهانة الوالد أو للتشهير به أو لابتزازه بلا سبب فهذا حرام وعقوق وهو من الكبائر.

6. إذا أعضل الرجل ابنته فأبى أن يزوجها مطلقا، وهي تخشى الفتنة على نفسها.. فابتداء الله لايحب الفساد، ويجوز أن ترفع أمرها إلى السلطان، فإن السلطان ولي من لاولي له. ولعل هذا الأمر قد تجوز مع مدونة الأسرة الجديدة....

7. الحجر على الأب السفيه أو على الأم السفيهة: ابتداء عندنا من النصوص كم هائل ينهى عن الفساد في الأرض ويأمر بإصلاحها.. وهي نصوص تعم القريب والبعيد وتنسحب على الوالدين وغيرهما.. ولاتنافي بين هذه النصوص ولاتعارض بينها وبين الأمر بالإحسان إلى الوالدين وبرهما وطاعتهما... فأي بر أعظم من بر تصحبه إلى الجنة ويؤول بالشخص إلى الجنة ويقوده إليها... فإذا كان الوالد من المفسدين في الأرض ويريد إجبار ولده على السير في طريق الفساد، فلا طاعة حينئذ..وينبغي أن يصاحب عدم الطاعة هذا بالحكمة والموعظة الحسنة...

8. الاستدراك على الوالدين، أو اختيار رأي غير رأيهما: خاصة إذا كان في استدراكه صواب خير ومعروف... وليبرز ذلك بطريقة حسنة مكللة بالوقار والخلق الرفيع والأدب الحسن.

9. الاستفسار من الوالد عن الأمر الغامض: بسبب تصرف سلكه الوالد معه فضايقه أو آذاه... وكل ذلك بأسلوب حسن.

10. ترك التسمية بأسماء الآباء أو الأجداد: لاشك أن من البر أحيانا أن يسمي الرجل ولده باسم أبيه، فإذا كان الوالد من الصالحين واسمه اسم طيب له مدلوله الطيب الحسن واسم من الأسماء التي حض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالتسمية باسمه حينئذ فيها بر وإحسان، خاصة إذا كان ذلك يسعده.. أما إذا كان الوالد من الغواة الأثمين، فالتسمية باسمه قد يكون فيها إحياء لذكره ولمآثره السيئة بما يحمل على اتباعه فيها، فحينئذ قطع دابره بترك التسمية باسمه أولى.. وكذلك إذا كان الاسم ليس له مدلول طيب، فتركه أولى كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم. أما إذا كان اسم الوالد أو الوالدة لايحمل مدلولا طيبا ولاخبيثا، وأراد الوالد أوالوالدة أن يتسمى به الحفيد، وأراد ابنهما أن يتسمى ولده باسم له مدلول طيب، فلا يجبر الابن على أن يسمي ولده باسم أبيه أو أمه، وذلك لأن المولود أيضا له حق في أن يحظى بطيب الأسماء والله أعلم.

11. إذا طلق الرجل امرأته وكان له منها ولد، وكان هذا الولد مع أحدهما فأمره بعدم زيارة الآخر وعدم بره.. فلا طاعة له حينئذ، لأنه يدعو لقطع الرحم والطاعة إنما تكون في المعروف. اللهم إلا إذا كان المنع بسبب الفساد في الدين والأخلاق.. والله تعالى أعلم.

12. التفدية بالأب أو الأم لفظا، كقول القائل: فداك أبي وأمي، فهذا جائز والأدلة في هذا الباب كثيرة كقول النبي صلى الله عليه وسلم لسعد: (ياسعد ارم فداك أبي وأمي).

13 عدم طاعة الوالدين في تطليق الزوجة، الأصل في المسألة أن الوالدين إذا كانا صالحين ولايأمران بظلم ولابجوز وكان سبب الطلاق له وجه شرعي... لزم الولد أن يطلق زوجته وإن كان يحبها، كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم.. أم إذا كان الوالدان أو أحدهما من السفاهة والطيش بمكان، وكانا من البعد عن الدين أيضا... فحينئذ فأمرهما ليس برشيد ، وما أمرنا الله بطاعة السفهاء الذين يفسدون في الأرض ولايصلحون.. فلم يقل أحد بطاعة السفيه فيما يدعو إليه من تشتيت الأولاد وتدمير الأسر..

14. للفتاة أن تعرض عن رأي والدها إذا أجبرنا على الزواج من شخص لاترضاه، وكان الإعراض له وجه شرعي... كأن يكون المتقدم فاسقا.. ومعروف عنه الشر والفساد...لا أن ترفضه وتعارض بحجة إكمال الدراسة أو لم يئن الأوان بعد...

15. وللولد أن يرفض الزواج من فتاة لايردها وكان ملزما من أحد الأبوين... وأنه إذا امتنع لم يكن عاقا، كما قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى 30/32.

فوائد الحديث:

× البر إلى الوالدين من أفضل العبادات.

×البر إلى الوالدين عمل صالح يثاب عليه صاحبه في الدنيا والآخرة.

×البر إلى الوالدين يجلب البركة، ويبارك في العمر ويزيد في الرزق.

×البر إلى الوالدين دليل على الإيمان وحسن الخلق.

×لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق، والبر (الإحسان) واجب.

×الإحسان إلى الوالدين ولو كانا كافرين، فصلتهما والبر إليهما من أفضل القربات.

×البر إلى الوالدين، فريضة شرعية وضرورة اجتماعية.

والله أعلم بالمراد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

حديث المنابر

ماهية التقوى وحقيقتها

الأستاذ:
محمد المهدي بوزيد

الخطبة الأولى:

ماهية التقوى وحقيقتها

الحمد لله رب العالمين، أنزل الكتاب فيه هدى للمؤمنين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له أعد جنة عرضها السماوات والأرض لعباده المتقين. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله بشر المطيعين لله وأنذر الكافرين. صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه أجمعين وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها الإخوة المؤمنون:

يقول ربنا الكريم في كتابه العزيز (ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون...)البقرة

أيها المؤمنون: من البديهي أن الإسلام تطالب به البشرية كلها، أفرادها وجماعتها، وأن أهم مايطالب به المرء المسلم هو أن يكون تقيا، لأن الإسلام لايمكن أن يختل إلا إذا اختلت التقوى عند الأفراد المسلمين.

أيها المؤمنون: إن التقوى ملكة ينبع منها سلوك المؤمن ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في جزء من حديث رواه مسلم عن أبي هريرة (... التقوى هاهنا التقوى هاهنا وأشار إلى صدره)ومعناه أن التقوى والإيمان متلازمان لاينفصلان، فالإيمان ما استقر في القلب والتقوى هي العمل الصالح أو بعبارة أخرى هو تطبيق هذا الإيمان بالجوارح.

وقد أشار صلى الله عليه وسلم بقوله (... ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) إلى أن صلاح الأعمال مرهون بصلاح القلب، ثم إن صلاح الأعمال هو عين طاعة الله ورسوله فيقول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما)الأحزاب/الآيتان:-71 .70

أما إذا أردنا الحديث عن ماهية التقوى وحقيقتها فلابد من استقصاء ذلك من كتاب الله وسنة رسوله، لأن الله تعالى قد عرف المتقين وبين صفاتهم في مواطن كثيرة من كتابه العزيز، وباجتماعها كلها سنلمس أن التقوى رباط بين العقيدة السليمة والواجبات الاجتماعية المشروعة. فعندما يقول ربنا عز وجل في كتابه العزيز من سورة التوبة: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)الآية:105.

فإن هذه الآية ترد على أولئك الذين يدعون أن العمل عبادة وهم مقصرون في أداء شعائرهم حتى إنك ترى الرجل يترك صلاته من أجل عمله ويواجهك بهذا الشعارالكاذب (العمل عبادة). وحقيقة الأمر أن الإسلام عقيدة وشريعة حياتية ويصدق ذلك أو يكذبه القيام بالشعائر التعبدية من صلاة وزكاة وصيام وحج. فإن السر. أيها المؤمنون. في توزيع الله تعالى لأوقات الصلوات خلال اليوم بكامله لاعتبار أن كل مايقوم به الفرد المسلم بين الوقتين ضابطه هو الصلاة حتى يعلم أن عمله مراقب من طرف الله تعالى نفسه: فمن زل فيه استغفر الله وهو داخل إلى الصلاة، ومن أصاب فيه طلب القبول والتوفيق من ربه وهو داخل إلى صلاته، ومن ثم قال. صلى الله عليه وسلم. (الصلوات الخمس كفارة لما بينها) ومن ضعف إيمانه أو قصر في حق الله فإن الله تعالى يفتح له مجال تجديد العهد كل يوم جمعة ليكفر الله عنه سيئاته كما قال. عليه الصلاة والسلام. (الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما) وهذا المضمون العام لقوله تعالى (إن الإنسان خلق هلوعا، إذا مسه الشر جزوعا، وإذا مسه الخير منوعا، إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم...)سورة المعارج/الآيات: من 19 إلى25).

الخطبة الثانية:

الأمر بالتمسك بتقوى الله

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له الحق المبين.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إمام المتقين وخير من عبد الله حتى أتاه اليقين من ربه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها الإخوة المؤمنون:

روى الإمام الدارمي في سننه عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اتق الله حيثما كنت. واتبع السيئة الحسنة تمحها. وخالق الناس بخلق حسن).

وروى الإمام الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع فقال: (اتقوا الله، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا أمراءكم، تدخلوا جنة ربكم)

مشية الغراب

شعر أحمد البقيدي

يحكى. قديما . ياصحاب — زعما بقصة الغراب
أن الغراب مشى وقال : — "وهل لمشيتي مثال؟
أخطو بعزة الهمام — وباتزان . ياسلام"

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

وذات يوم يارفاق — جاد الزمان باللقاء
تقاطر الجمع الغفير — قصد التباري في المسير
وكان من ضمن الحضور — حمامة بين الطيور
تمشي كأنها العروس — مختالة تحيي النفوس
بدا الغراب في انبهار — وعقله بالعجب طار
وقال: "والله العظيم — لاسرت سيري القديم
خطوي عتيق مستعاب — وخطو غيري مستطاب
سأقلد الطير الوديع — حمامة الروض المريع
أمشي الهوينا باقتداء — متبخترا كما أشاء"

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

وبعد أيام طوال — في الخبط من ورا المحال
لم يكسب الخطو الجديد — وقال: "مشيتي أريد"
فلم يطق لها الرجوع — والأصل ضاع بالفروع
وعاد يمشي في اضطراب — وعاش دوما في استلاب
دون الجديد والجميل — ولا القديم والأصيل
وهكذا يجزى العنيد — وذاك هو بيت القصيد

الحاق والمحقوق

■ الأستاذ: احمد باكو

ربما كان مجهولا، إن لكلمة (الحق) المشهورة والمستعملة بكثرة، تصاريفها من فعل واسم فاعل واسم مفعول.

والفعل فيها تارة يكون لازما مثل حق الشيء بمعنى ثبت وصح، وتارة يكون متعديا مثل حق فلانا بمعنى غلبه في الخصومة، وهناك أوزان أخرى في المزيد مثل حاق واحتق وتحقق واستحقق وغير ذلك من الأوزان المعروفة (1).

والكلمتان حاق ومحقوق اسم فاعل واسم مفعول من حقه بمعنى غلبه في الخصومة، فالأولى اذن تعني الغالب في الخصومة والثانية تعني المغلوب فيها والخصومة قد تكون جدالا أو مناظرة وقد تكون دعوى قضائية.

وهما غائبتان عن الاستعمال على الرغم من وجود أحوالهما التي تقتضيها في مناسبات كثيرة، وغيابهما ترك خصاصا وفراغا في لغتنا العادية والعلمية نملأه بتعابير غير دقيقة وغير مناسبة لأن الخصومة الجدلية أو القضائية تدور حول طلب الحق، وفي هذه الحال فإن الأولى هو أن يأتي التعبير عن الغالب أو المنتصر فيها بعبارة من المادة نفسها ولذا كانت الحاق والمحقوق، من المهمل المفيد الذي يجب الكشف عنه والتعريف به لاستعماله في مقتضى حاله..

حقيقة التأويل في الثقافة الإسلامية

إعداد الأستاذ:
رضوان الرقبي

. التأويل بمعنى التبرير:

"وهو . أي التبرير . ظاهرة نفسية يلجأ إليه الإنسان لتصويب فكر خاطئ أو تصحيح سلوك مغلوط، ومن هنا نظريتا الجبر والتفويض، وما أول لهما من آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة" ومنه ما أشار إليه الإمام علي في أحد كتبه إلى معاوية بن أبي سفيان بقوله "فعدوت على الدنيا بتاويل القرآن".

يبدو أن الأصل في التاويلية الإسلامية مصدران عظيمان: القرآن الكريم والحديث الشريف، وإذا كان هناك آيات كثيرة ورد فيها لفظ التاويل في ابنية مختلفة فإن آية آل عمران ربما تكون هي الأية التي يدور عليها الأصل، في معنى التأويلية في الثقافة الإسلامية عامة وفي تأويل القرآن خاصة.

إن الله عز وجل حين أنزل القرآن العظيم "أنزله آيات محكمات هن أم الكتاب لاتشابه فيه، فهو معلوم، وأنزل آيات أخر متشابهات تكلم فيها العلماء مجتهدين وهم يعلمون أن اليقين الذي هو الصواب لايعلمه إلا الله، وذلك مثل المشكلات التي اختلف فيها المتأولون في تأويلها، وتكلم فيها من تكلم على ماأداه الاجتهاد إليه"ويعلل الزمخشري وجود التأويل الذي كان تأويل الآيات المتشابهات وردها إلى المحكمات بأن الله عز وجل لو أنزل القرآن كله محكما لتعلق الناس به لسهولة ماخذه، ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال، ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لايتوصل إلى معرفة الله وتوحيده إلا به، ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق، والمتزلزل فيه، ولما في تقادح العلماء واتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده إلى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة، ونيل الدرجات عند الله، ولأن المومن المعتقد أن لامناقضة في كلام الله ولا اختلاف، إذا راى فيه مايتناقض في ظاهره واهمه طلب مايوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره، فتح الله عليه ، وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمأنينة إلى معتقده وقوة في إيقانه "إن في الثقافة الإسلامية إجراء جاد بتوجيه من القرآن، ليحض العلماء المسلمين على التفكير وعلى السعي إلى تأسيس آدابا رصينة لقراءة

الحلقة الثانية

النص القرآني، تحيل في أسسها المعرفية على التعمق في العلم وعلى التبحر في معضلاته إلى درجة بلوغ الرسوخ، أو شيء من الرسوخ فيه على الأقل وببعض ذلك يتبين لنا أن التأويلية إجراء منبثق من الثقافة الإسلامية وآدابها".

وأما المصدر الثاني لتأسيس علم التأويل في الثقافة العربية الإسلامية، فهو حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، عند دعائه لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" فنص الحديث يميز بين أمرين اثنين مختلفين أحدهما: الفقه، الذي هو مخصوص لدى علماء الأصول "بالعلم الحاصل بجملة من الأحكام الشرعية الفروعية بالنظر والاستدلال" وأحدهما الآخر: التاويل الذي هو "صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحكمه "موافقا للكتاب والسنة" فنص الحديث الشريف تأسيس لعلمين مختلفين في الماهية متفقين في الغاية التي هي المعرفة بأصول الشريعة والتبحر فيها، فالفقه والتأويل كلاهما ضروري لقيام معرفة إسلامية متعمقة شاملة بعلوم الدين، أحدهما ينهض على استنباط الأحكام وفهمها، والآخر ينهض على تأويل النصوص العويصة وإعمال النظر فيها، وإبداء الرأي حولها وفق شروط الرسوخ في العلم".

ونلاحظ كيف وقع توزيع اللغة على المعنيين المختلفين: الفقه الذي تقع به الفقاهة لمسائل الشريعة الإسلامية من خلال استعمال الذاكرة، وذلك بحفظ النصوص إلى تقرر المسائل الفقهية في العبادات والمعاملات... بينما التأويل ينهض على استعمال العقل القائم على مرجعيات وأسيقة دينية في تناول المعضلات المبحوث في تأويلها، وعلى القدرة على التأمل وعلى التمكن من المقارنة بين الوقائع، وعلى البراعة في حسن تخريج النصوص واستنباط الأحكام، فكأن الفقيه ينهض على الحفظ والتعويل على مخزونات الذاكرة من النصوص الفقهية المدونة في بطون الأسفار، في حين أن التأويل يقوم على التبحر في العلم، وعلى الاستنباط، وعلى التسامي في إعمال الفكر إلى أعلى الدرجات الممكنة، وذلك من أجل استنباط القضايا العويصة من بعضها البعض من أجل إدراك النص وتأويله.

إعلان

تنظم مشيخة . الطريقة الكتانية والعائلة بمناسبة الذكرى الأربعينية لفقيد العلم والوطنية والتصوف الأستاذ الجليل زين العابدين الكتاني شيخ الطريقة الكتانية وعضو المجلس الأعلى لرابطة علماء المغرب، حفلا أدبيا وصوفيا يحضره مقدمو الزاوية ونظارها ومريدوها ويتحدث فيه صفوة من العلماء والأدباء والمثقفين عن مزايا الفقيد وصفاته ومآقدمه لدينه ووطنه وذلك يوم السبت 10 محرم 1426 الموافق 19 يبراير الجاري 2005م على الساعة الرابعة بعد الزوال بمقر مشيخة الطريقة بالطالبية . سلا . والدعوة عامة.

تعزية

إلى دار البقاء

انتقل إلى عفو الله بمدينة القنيطرة الأستاذ محمد شهبون على إثر مرض عضال لم ينفع فيه علاج . كان المرحوم من أسرة التعليم ، تلقى تعليمه بالمعهد الديني بتطوان ، ثم انتقل إلى مدينة القنيطرة وزاول مهام التدريس ، وعين مديرا بإحدى المؤسسات التعليمية بالمدينة.

تعازينا إلى عائلة الفقيد وأبنائه ، رشيد ، عمر وأويس، وأمل وإلى آل الحراق ، وآل الريسوني راجين من الله سبحانه وتعالى أن يتغمد الفقيد برحمته الواسعة ويسكنه فسيح جناته ، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

من الموافقات للإمام الشاطبي

كل مسألة مرسومة في أصول الفقه لا ينبني عليها فروع فقهية، أوآداب شرعية، أو لا تكون عونا في ذلك، فوضعها في أصول الفقه عارية.

والذي يوضح ذلك أن هذا العلم لم يختص بإضافته إلى الفقه إلا لكونه مفيدا له، ومحققا للاجتهاد فيه، فإذا لم يفد ذلك، فليس بأصل له، ولايلزم على هذا أن يكون كل ما انبنى عليه فرع فقهي من جملة أصول الفقه، وإلا أدى ذلك إلى أن يكون سائر العلوم من أصول الفقه، كعلم النحو واللغة، والاشتقاق، والتصريف، والمعاني، والبيان، والعدد، والمساحة، والحديث، وغير ذلك من العلوم التي يتوقف عليها تحقيق الفقه، وينبني عليها من مسائله، وليس كذلك، فليس (كل مايفتقر إليه الفقه يعد من أصوله، وإنما اللازم أن كل أصل يضاف إلى الفقه لاينبني عليه فقه، فليس(بأصل له).

وعلى هذا يخرج عن أصول الفقه كثير من المسائل التي تكلم عليها المتأخرون وأدخلوها فيها، كمسألة ابتداء الوضع، ومسألة الإباحة، هل هي تكليف أم لا، ومسألة أمر المعدوم، ومسألة هل كان النبي صلى الله عليه وسلم متعبدا بشرع أم لا، ومسألة لاتكليف إلا بفعل، كما أنه لاينبغي أن يعد منها ما ليس منها، ثم البحث فيه في علمه وإن انبنى عليه الفقه، كفصول كثيرة من النحو، نحو معاني الحروف، وتقاسيم الاسم والفعل والحرف، والكلام على الحقيقة والمجاز، وعلى المشترك والمترادف، والمشتق، وشبه ذلك.

غير أنه يتكلم من الأحكام العربية في أصول الفقه على مسألة هي عريقة في الأصول، وهي أن القرآن الكريم ليس فيه من طرائق كلام العجم شيء، وكذلك السنة، وأن القرآن عربي، والسنة عربية، لابمعنى أن القرآن يشتمل على ألفاظ أعجمية في الأصل أو لايشتمل، لأن هذا من علم النحو واللغة، بل بمعنى أنه في ألفاظه ومعانيه وأساليبه عربي، بحيث إذا حقق هذا التحقيق سلك به في الاستنباط منه والاستدلال به مسلك كلام العرب في تقرير معانيها ومنازعها في أنواع مخاطبتها خاصة، فإن كثيرا من الناس يأخذون أدلة القرآن بحسب مايعطيه العقل فيها، لابحسب مايفهم من طريق الوضع، وفي ذلك فساد كبير وخروج عن مقصود الشارع، وهذه مسألة مبينة في كتاب المقاصد، والحمد لله.

فصل:

وكل مسألة في أصول الفقه ينبني عليها فقه، إلا أنه لايحصل من الخلاف فيها اختلاف في فرع من فروع الفقه، فوضع الأدلة على صحة بعض المذاهب أو إبطاله عارية أيضا، كالخلاف مع المعتزلة في الواجب المخير، والمحرم المخير، فإن كل فرقة موافقة للأخرى في نفس العمل، وإنما اختلفوا في الاعتقاد بناء على أصل محرر في علم الكلام، وفي أصول الفقه له تقرير أيضا، وهو: هل الوجوب والتحريم أو غيرهما راجعة إلى صفة الأعيان، أو إلى خطاب الشارع؟ وكمسألة تكليف الكفار بالفروع عند الفخر الرازي، وهو ظاهر، فإنه لاينبني عليه عمل، وماأشبه ذلك من المسائل التي فرضوها مما لاثمرة له في الفقه.

لايقال: إن مايرجع الخلاف فيه إلى الاعتقاد ينبني عليه حكم ذلك الاعتقاد من وجوب أو تحريم، وأيضا ينبني عليه عصمة الدم والمال، والحكم بالعدالة أو غيرها من الكفر إلى ما دونه، وأشباه ذلك، وهو من علم الفروع، لأنا نقول: هذا جار في علم الكلام في جميع مسائله، فليكن من أصول الفقه، وليس كذلك، وإما المقصود ما تقدم.

انظر الموافقات ص:4137.

فصل في انقسام الحقوق إلى المتفاوت والمتساوي والمختلف فيه

الإمام المحدث سلطان العلماء العز بن عبد السلام

اعلم أن حقوق الرب وحقوق عباده أقسام: أحدها: متساو، والثاني: متفاوت، والثالث: مُختلف في تساويه وتفاوته، وسأذكر لذلك أمثلة في فصول ترشد إلى نظائرها.

الفصل الأول في تقديم حقوق الله بعضه ا على بعض عند تعذر جمعها وعند تيسّره لتفاوت مصالحها

وله أمثلة: منها تقديم الصلوات المفروضات على الصلوات المندوبات. ومنها تقديم الطاعات الواجبات في أواخر الأوقات على الطاعات المندوبات. ومنها تأخير الظهر للإبراد. ومنها تقديم الصلاة المقضية على الصلاةالمؤداة إذا اتسع وقت المؤداة. ومنها تقديم الصلاة المؤداة على الصلاةالمقضية إذا ضاق وقت المؤداة عند الشافعي رحمه الله لئلا تفوت مصلحة الأداء في الصلاتين. ومنها الترتيب في الصلوات الفائتات. ومنها تقديم النوافل المؤقتة التي شرعت فيها الجماعة كالعيدين والكسوفين على الرواتب. ومنها تقديم الرواتب على النوافل المبتدات. ومنها تقديم الوتر وركعتي الفجر على سائر الرواتب والأصح تقديم الوتر على ركعتي الفجر. ومنها تقديم الزكاة على سائر الصدقات المندوبات. ومنها تقديم الصوم الواجب على المندوب. ومنها تقديم فرض الحج والعمرة على مندوبيها. ومنها تقديم الإفراد على القران عند قوم، وتقديم التمتع على الإفراد عند قوم، وتقديم القران عليهما عند آخرين. ومنها التقديم في جمع عرفة. ومنها التأخير في جمع مزدلفة. ومنها في جمرة العقبة بعد طلوع الشمس. ومنها رمي سائر الجمرات بعد الزوال. ومنها تأخير العشاء على قول. ومنها الإتمام في سفر لا تبلغ مسيرته ثلاثة أيام. ومنها تأخير الصيام في حق من يضره الصيام، وفي تقديم ترتيب أركان الصلاة على الاقتداء في حق المزحوم قولان. ومنها تقديم الكفارات على الوصايا المندوبات عند ضيق التركات. ومنها أن المسافر إذا عُرف أنه يجد الماء في آخر الوقت فتأخير الصلاة أفضل من المبادرة إليها بالتيمم، وهاتان فضيلتان لا يمكن الجمع بينهما، وإنما قدّمنا التأخير لأنه راجع إلى رعاية الشروط وما رجع إلى رعاية الشروط والأركان أولى مما رجع إلى السُنن والآداب. ويدل على ذلك أن المبادر مخيّر بين المبادرة وتركها والقادر على الماء لا يتخير بينه وبين التيمم لشرفه وعلوّ رتبته. ولو ظن وجود الماء في آخر الوقت فقولان: أحدهما: يؤخر لما ذكرناه، والثاني: لا يؤخر لأن المبادرة فضيلة محققة فلا يؤخرها لفضيلة مظنونة وإن لم يظن ذلك فلا خوف عند المراوزة أن المبادرة أولى إذ لا معارض لها والمبادرة إلى الصلاة في الانفراد أفضل من انتظار الجماعة في آخر الوقت، لأن الجماعة ليست شرطا والذي قالوه ظاهر السُنة. وقد قال بعض العراقيين في انتظار الجماعة قولين. ومنها أن من أراد التبرع بماء الطهارة على أفضل القربات قدّم غسل الميت على غسل الجُنب والحائض لأنه لآخر عهد الميت، والجُنب والحائض يصبران إلى طهارة الماء. ويقدّم غسل النجاسة على غسل الحيض والجنابة وهو قريب بين الجمع بين الحقوق، لأن غسل النجاسة لا بدل له وغسل الحيض والجنابة له بدل وهو التيمم. وفي تقديم غسل الميت على غسل النجاسة وجهان: أحدهما: يقدّم غسل الميت لأنه آخر عهده، والثاني: يقدّم غسل النجاسة إذ لا بدل له ويُيمّم الميت. وفي غسل الحيض والجنابة أوجه. ثالثها: التسوية بينهما فتقرع بينهما فإن طلب أحدهما القسمة والآخر القرعة ففي من يجاب؟ فيه وجهان. ومنها تقديم غسل الجمعة والغسل من غسل الميت على سائر الأغسال المندوبات وأيّهما أفضل ؟ فيه قولان. ومنها أن العُري عذر في ترك الجماعة غير مانع للصحة والانفراد فيه أفضل من الاجتماع على الجديد، ويقدّم ستر السوأتين على ستر الفخذين عند العجز فإن لم يجد إلا ما يكفي أحدهما ففي المقدّم منهما اختلاف، ولا خلاف في تقديم ستر النساء على ستر الرجال دفعاً لأعظم المفسدتين، ولو انحلّ إزار المصلي أو كشف الريح سوأته فإن تعذّر ردّه بطلت صلاته لندرته وعظم المفسدة، وإن ردّه قريبا لم تبطل وإن تكشف أو تحرّف عن القِبلة أو لاقى نجاسة يابسة فإن تعمّد بطلت صلاته وإن لم يتعمد لم تبطل إلا أن يطول الزمان.

الفصل الثاني فيما يتساوى من حقوق الرب فيتخير فيه العبد

وله أمثلة: منها أنه إذا كان عليه صوم أيام من رمضانين فإنه يتخيّر بينهما. ومنها أنه إذا كان على الشيخ الفاني فدية من رمضانين فما زاد فإنه يتخيّر بينهما . ومنها أنه إذا كان عليه صلاتان منذورتان أو صومان منذوران فإنه يتخير بينهما. ومنها أنه إذا كان عليه شاتان منذورتان أو زكاتان فإنه يتخيّر، وكذلك لو اجتمع عليه زكاة إبل وبقر وغنم وذهب وفضة فإنه يتخيّر في تقديم أيتها شاء. ومنها أنه إذا لزمه حج أو عمرة بنذر واحد أو بنذور مختلفة فإنه يبدأ بأيتها شاء، متخيّرا بين العُمَر والحجج ويرتب العُمَر على الحجج.

الفصل الثالث فيما اختلف في تفاوته وتساويه من حقوق الإله لاختلاف في تساوي مصلحته وتفاوتها

وله أمثلة: منها أن العاري هل يصلي قاعداً موميا بالركوع والسجود محافظة على ستر العورة، أو يصلي قائمًا مُتمِمًا لركوعه وسجوده وقيامه لأنها أركان عظيمة الوقوع في الصلاة فكانت المحافظة عليها أولى من المحافظة على ستر العورة الذي هو شرط مختلف في اشتراطه بين العلماء أو يتخيّر بينهما لاستوائهما ؟ فيه خلاف ؛ والمختار إتمام الركوع والسجود والقيام. ومنها أن مَن حبس في حبس لا يقدر فيه على مكان طاهر فهل يسجد على النجاسة إتماماً للسجود أو يقاربها من غير أن يمسّها أو يتخيّر ؟ فيه الأوجه الماضية: فإن كانت النجاسة رطبة فقد قطع بعضهم بأنه لا يضع جبهته على النجاسة فيستصحب النجاسة في جميع صلاته. ومنها أنه إذا لم يكن له إلا ثوب واحد نجس فهل يصلي عاريا توقياً للنجاسة أو مستتراً توقياً لكشف العورة أو يتخيّر؟ فيه الأوجه الثلاثة. ومنها أنه إذا كان مع ثوب طاهر وهو في مكان نجس فهل يبسط ثوبه ويصلي عليه توقياً للنجاسة أو يصلي بثوبه على النجاسة توقياً للعري أو يتخيّر؟ فيهما الأوجه الثلاثة.

الفصل الرابع فيما يقدّم من حقوق بعض العباد على بعض لترجح التقديم على التأخير في جلب المصالح ودرء المفاسد

وله أمثلة: منها تقديم نفقة المرء وكسوته وسكناه على نفقة زوجته وأصوله وفصوله وكسوتهم وسكناهم. ومنها تقديم نفقة زوجه وكسوتها وسكناها على نفقة أصوله وفصوله وكسوتهم وسكناهم. ومنها تقديم غرمائه عليه في جميع أمواله في قضاء ديونهم. ومنها تقديمه على غرمائه بنفقته ونفقة عياله وكسوته وكسوة عياله من حين يحجر عليه إلى يوم وفاء دينه. ومنها تقديم المضطر عليه بالطعام والشراب إن لم يكن مضطراً إليهما. ومنها تقديم المرأة على الرجل والمسافر على المقيم في المخاصمات عند الحكام. ومنها تقديم الأفاضل على الأراذل في الولايات. ومنها تقديم الأفضل على الفاضل في المناصب الدينيات. ومنها تقديم ذوي الضرورات على ذوي الحاجات فيما ينفق من الأموال العامة، وكذلك التقديم بالحاجة الماسة على ما دونها من الحاجات، وكذلك التقديم بالسبق في الفتاوى والحكومات، وكذلك التقديم في القصاص بالسبق إلى الجنايات بأن يبدأ بقصاص الأول فالأول من القتلى أو الجرحى أو مقطوعي الأعضاء، وتقديم القاتل بسلب القتيل على سائر الغزاة، وكذلك التقديم بالسبق إلى المساجد ومقاعد الأسواق واكتساب المباحات، وكذلك تقديم أحد الزوجين على الآخر بالفسخ بعيوب النكاح، وكذلك تقديم حق المرأة على الرجل في الفسخ بالإعسار وفي الطلاق بالإيلاء، وكذلك التقديم بالفسوخ في المعاوضات.

الفصل الخامس فيما يتساوى من حقوق العباد فيتخيّر فيه المكلف جمعاً بين المصلحتين ودفعاً للضررين

وله أمثلة: منها النفقات على الزوجات والعبيد والأولاد والآباء والأجداد إذا وسعتهم النفقات. ومنها إذن المرأة لأوليائها في النكاح والإنكاح عند التساوي في الدرجات. ومنها التسوية بين الزوجات في القسم والنفقات، وكذلك تسوية الحكام بين الخصوم في المحاكمات، وكذلك تسوية الشركاء في طلب القسمة وفي الإجبار عليها في المثليات، وكذلك ما يقبل قسمة التعديل في المقومات، وكذلك التسوية بين البائع والمشتري في الإجبار على قبض العوضين، وكذلك تسوية الحكام في قسمة مال المحجور عليه بالفلس، وكذلك التسوية بين الشركاء في حق الشفعة، وكذلك التسوية بين السابقين إلى شيء من المباحات.

الفصل السادس فيما يتقدّم من حقوق الرب على حقوق عباده إحساناً إليهم في أخراهم

وله أمثلة: منها تقديم الصلوات المفروضات عند ضيق الأوقات على الرفاهية والشراب والطعام وسائر التصرفات، وليس تقديم إنقاذ الغرقى وتخليص الهلكى على الصلوات من هذا الباب، وإنما هو من باب تقديم حق الله وحق العباد على الصلوات. ومنها تحمّل المشقات في العبادات فإنها مقدمة على قضاء الأوطار والراحات. ومنها تقديم الزكاة على الحاجات. ومنها بذل النفوس والأموال في قتال الكفار مع تعريض النفوس والأعضاء للفوات. ومنها تقديم سراية العتق على صرف الأموال في قضاء الأوطار ودفع الحاجات وهذا على الحقيقة حق الله وحق العبد لكن غلب فيه حق الله إذا لا يسقط بإسقاط العبد ولا يجوز له تأخيره تغليبًا لحق الله عز وجل. ومنها التغرير بالنفوس والأعضاء في قتال من يجب قتاله، فمن يمتنع من أداء حق يجب أداؤه بالمحاربة كقتال البغاة ومانعي الزكاة. ومنها تحريم الوطء في الصوم والحج والعمرة والاعتكاف. ومنها تحريم وطء الحيض في جميع الأحوال إلا في حال إلجاء أو إكراه. ومنها تحريم وطء المتحيّرة في جميع الأوقات وتضعيف الصوم عليها حتى يبلغ شهرين فما زاد، وكذلك الصلوات في جميع الأوقات، وكذلك غسل العصائب عند أوقات الصلوات. ومنها تحريم لباس المَخيط وتحريم ستر رؤوس الرجال ووجوه النساء في الإحرام، وكذلك تحريم قلم الأظفار وإبانة الشعر والطيب والأدهان في الإحرام والتلذذ بالنساء، وتحريم أكل الصيد والاصطياد. ومنها تحريم النكاح والإنكاح في الإحرام. ومنها تحريم الطعام والشراب والجماع على الصوام. ومنها تزكية الشهود فإن الغالب عليها حق الله إذ لا تسقط بإسقاط المشهود عليه. ومنها الأنساب فإنها حق لله ولعباده ولا تسقط بإسقاط مسقطيها. ومنها تحليف المدّعى عليه فإن الغالب عليه حق الله فلو رضي المدعي بأن يجعل القول قول المدّعى عليه من غير نكول لم يسمع ذلك منه. ومنها دفع الغرر عن البياعات فإنه اعتبر للحقين والغالب عليه حق الله بدليل أنه لا يسقط بإسقاط عصبات المزني بها لأن الشرع لو فوّض استيفاءه إليهم لما استوفوه خوفا من العار والشنار بخلاف استيفاء القصاص وحدّ القذف فإنهما حقان لله ولعباده غلب عليهما حق العبد بالاستيفاء والإسقاط شفاء لغليل المقذوف والمجني عليه إن كان حيّاً ولورثته إن كان ميتاً، ومن ذلك حدّ السرقة وجب صيانة للأموال ولم يفوّض إلى المسروق منه لغلبة الرحمةعلى الملاك أن يقطعوا السارق بسرقة ربع دينار ونظائر هذا كثيرة.

الفصل السابع فيما يتقدم من حقوق العباد على حقوق الرب رفقا بهم في دنياهم

وله أمثلة: منه التلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه حفظاً للنفوس والأعضاء ليقوم المكلف بعد ذلك بوظائف الطاعات والعبادات. ومنها ترك الصلاة والصيام وكل حق يجب لله على الفور بالإلجاء والإكراه. ومنها الأعذار المجوّزة لقطع الصلوات. ومنها الأعذار المجوّزة لترك الجماعات والجمعات. ومنها الأعذار المجوّزة لترك الجهاد. ومنها الانهزام يوم الزحف وهو جائز إذا أربى عدد الكفرة على عدد الإسلام مع التقارب في الصفات، وليس منها وجوب الفرار من الكفار في حق من علم أن لو ثبت لقتل من غير نكاية في الكفار فإن ثبوته لا جدوى له إلا كسر قلوب المسلمين وشفاء صدور الكافرين. ومنها التحلل بالإحصار بالعدو وفي الإحصار بغيره من الأعذار خلاف بين العلماء. ومنها تأخير الصيام بالأمراض والأسفار. ومنها قصر الصلوات الثلاث في السفر. ومنها جمع التقديم بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء بالأسفار والأمطار. ومنها الشرب في أواني الذهب والفضة عند الحاجة ولبس الحرير عند الحكة وفي حال الاضطراب.

الفصل الثامن فيما اختلف فيه من تقديم حقوق الله على حقوق عباده

وله أمثلة: أحدها: إذا مات وعليه ديون وزكوات فإن كانت نصب الزكوات باقية قدّمت الزكوات لأن تعلقها بالنصب يشبه تعلق الديون بالرهون وإن كانت تالفة فمن العلماء من قدّم الديون نظراً إلى رجحان المصلحة في حقوق العباد. ومنهم من سوّى بينهما لتكافؤ المصلحتين عنده. ومنهم من قدّم الزكوات نظرا إلى رجحان المصلحة في حقوق الله وهذا هو المختار لوجهين: أحدهما: قوله عليه الصلاة والسلام: «فدَين الله أحق بالقضاء» فجعل دَين الله أحق بالقضاء من ديون العباد. والثاني: أن الزكوات فيها حق لله وحق للفقراء والمساكين فكانوا أحق بالتقديم فلا يجوز تقديم واحد على حقين ولا سيما إذا كان الدَين لغني إذ لا نسبة لحقه إلى حق الفقراء مع ضرورتهم وخصاصتهم، وإذا كان في الكفارة عتق كان أولى بالتقديم لاهتمام الشرع به وكثرة تشوّفه إليه فإنه يكمل بعضه فيمن أعتق بعض عبده ويسري إلى أنصباء الشركاء.

فإن قيل: لو وجبت الكفّارة في الغلاء الشديد والخوف على النفوس فهل يقدّم العام فيها على العتق والكسوة أم لا؟ قلنا: أما الكفارة المرتبة فلا يجوز تغيير ترتيبها بل يقدّم فيها ما قدّمه الله ويؤخر فيها ما أخره الله، وأما كفارة الإيمان وكفارة الحلق في الحج فيقدم فيها الطعام والنسك على الصيام، وكذلك يقدم الطعام في الكفارة على الإعتاق ولا سيما إذا كان الرقيق عاجزا عن الاكتساب مع غلاء الأسعار، فإن إعتاقه يضرّ به وبالمساكين لأنه مُسقط لنفقته على مولاه ومانع للمساكين من الارتفاق بالطعام مع سوء الحال وغلاء الأسعار.

المثال الثاني: اجتماع الحج والديون على الميت فمنهم من يقدّم الحج لورود النص في تقديمه بقوله عليه السلام: «فدين الله أحق بالقضاء»، ومنهم من يقدّم الدين، ومنهم من يسوّي بينهما إن وجد من يحج بالحصة.

المثال الثالث: إذا اجتمع حق سراية العتق مع الديون ففيه الأقوال والمختار تقديم سراية العتق لما ذكرناه في اجتماع الديون والزكوات.

انظر قواعد الأحكام في مصالح الأنام -ج:1ص:113-118

تشطير الشيخ محمد بن يجبش على قصيدة البردة للبوصيري

■ د. ربيعة بنويس -كلية الآداب والعلوم الإنسانية - القنيطرة

الحلقة الثالثة

وأصبحت بعد فيض الماء غائرة
ورد واردها بالغيظ حين ظمي
كان بالنار ما بالماء من بلل
أعارها طبعه فأعجب لذي الحكم
فعاد إحراقها بردا لما وجدت
حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم
والجن تهتف والأنوار ساطعة
حتى انجلى ما قد كان من ظلم
بنور خير الورى الأكوان مشرقة
والحق يظهر من معنى ومن كلم
عموا وصموا فإعلان البشائر لم
يصح لها من له قلب طغى وعم
والنور في الكون باد والهواتف لم
تسمع وبارقة الإنذار لم تشم
من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم
كأنهم في عمى عن نهج رشدهم
فلم يصيحوا لما ألقاه محبرهم
بأن دينهم المعوج لم يقم
وبعدما عاينوا في الأفق من شهب
منيرة باشتعال نحو قطرهم
مهولة إذ بدت في الجو مسرعة
منقضة وفق ما في الأرض من صنم
حتى غدا عن طريق الوحي منهزم
من كان مسترقا من كل محتدم
معاند بضلال الشرك منتكس
من الشياطين يقفو ×(1) إثر منهزم
كأنهم هربا أبطال أبرهة
إذ بالحجارة قد أفضوا إلى العدم
في سورة الفيل أنباء لهم ثبتت
أو عسكر بالحصى من راحتيه رمي
نبذا به بعد تسبيح ببطنهما
إذ منهما فاض كل الجود والكرم
شاهت وجوه العدا قد قال حين رمى
نبذ المسبح من أحشاء ملتقم
جاءت لدعوته الأشجار ساجدة
قد صدقت قوله في النصح للأمم
مطيعة أمره جاءته خاضعة
تمشي إليه على ساق بلا قدم
كأنما سطرت سطرا لما كتبت
وليس يشبهه خط العرب والعجم
حارت عقول الورى في فهم ما رسمت
فروعها من بديع الخط باللقم
مثل الغمامة أنى سار سائرة
مطيعة أمره في كل ملتزم
إليه أرسلها المولى مظللة
تقيه حر وطيس للهجير حم
أقسمت بالقمر المنشق إن له
قلبا تملأ بالأنوار والحكم
أكرر القسم المذكور أن× له
من قلبه نسبة مبرورة القسم ×(1)
وما حوى الغار من خير ومن كرم
أدخله خير خلق الله كلهم
مع خير أصحابه بالله منتصرا
وكل طرف من الكفار عنه عمى
فالصدق في الغار والصديق لم ير ما
أعمى الإله الأعادي عن مكانهم
أخفاهم الله والكفار في خنق ×(2)
وهم يقولون ما بالغر من أرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على
من هو قطب الورى المختار لم تهم
وحسبوا أن ألطاف الإله على
خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الحصون التي بالعقل لم ترم
وعن حصان منيع ثم مزدوج
من الدروع وعن عال من الأطم
ما سامني الدهر ضيما واستجرت به
إلا منعت من الآفات والنقم
ولا تخوفت من شيء فلذت به
إلا ونلت جوارا منه لم يضم
ولا التمست غنى الدارين من يده
إلا وفزت بما لم يحص من نعم
ولا تسولت للمولى بحرمته
إلا استلمت الندى من خير مستلم
لا تنكر الوحي من رؤياه إن له
عقلا به قد تحلى ×(3) كل مرتسم
ولا تشكن قد أعطاه خالقه
قلبا إذا نامت العينان لم ينم
وذاك×(4) حين بلوغ من نبوته
إذ أدرك الرتبة العليا عن الأمم
ونال من ربه ما لم ينل أحد
فليس ينكر فيه حال محتلم
تبارك الله ما وحي بمكتسب
ولا ينال سوى من فضل ذي الكرم
فليس يوصل بالإحسان ذو حيل
ولا نبي على غيب بمتهم
كم أبرأت وصبا باللمس راحته
وأوقدت بالمنى من كل ذا عدم
وأكسبت× من شذا رياه مستلما
وأطلقت أربا من ربقة اللمم
وأحيت السنة الشهباء دعوته
وأبدلت بؤسها بالخير والنعم
فأشرقت واستنارت بعد ظلمتها
حتى حكت غرة في الأعصر الدُّهم
بعارض جاد أو خلت البطاح بها
عباب بحر أو التيار من ديم
وإن تشأ قلت في أوصاف ما منحت
سيب من اليم أو سيل من العرم
لما شكت وقعه البطحاء قال له
عن المدينة أقلع وابل الديم
وعدّ عنها إلى الأحكام منسجما
عن الربا والهضاب انهل وانسجم
فادت الأرض من رزق أمانتها
وما حوته من الخيرات والنعم
وابرزت ما بها قد كان مختفيا
بإذن خالقها للناس والنعم
والبست حللا من سندس ولوت
من بهجة النور أنواعا من الشيم
وازّينت للورى من بعد ما نشرت
عمائما برؤوس الهضب والأكم
فالنخل باسقة تجلو فلائدها×(1)
وأظهرت للبرايا كل مكتتم
تزهو بما رزقت من حسن بهجتها
مثل البهار على الأبصار والعنم
وفارق الناس داء القحط وانبعثت
نفوس كل الورى من بعد يأسهم
إلى الرجاء وحسن الظن واختلفت
إلى المكارم نفس النكس والبرم
إذا تتبعت آيات×(2) النبي فقد
ذكرت منها الذي قد بان كالعلم
وبعد ذكري اية لها اشتهرت
الحقت منفخما بها بمنفخم
قل للمحاول شأوا×(3) في مدائحه
ارغب لمولاك بالإخلاص في الظلم
فالعبد لا يدرك الأشيا بحيلته
هي المواهب لم أشدد لها زيم
ولا× (4) تقل لي بماذا نلت جيدها
ولا بما خصك المولى على أمم
يخص بالفضل من والته سابقة
فما يقال لفضل الله ذا بكم

الهوامش:
*1. يقفوا: في المخطوط.
*1. إذا تامت العينان لم ينم: في المخطوط، والتصويب من البردة.
×. لأن في المخطوط، وسلامة الوزن والسياق يقتضيان المثبت.
*2. كلمة غير واضحة قد تكون خنق أو خسف: في المخطوط.
*3. ربما تحلى أو تجلى: في المخطوط.
*4. فذاك: في المخطوط.
×. واكتسبت: في المخطوط.
*1. فلائدها: في المخطوط.
*2. آية: في المخطوط.
*3. الشاري: في المخطوط.
*4. فلا: في المخطوط.

تأملات وخواطر

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

كيف احتضن رسول الله (ﷺ) تربويا الناشئة والشباب؟

كان محمد عليه الصلاة والسلام وهو من أدبه ربه فأحسن تأديبه، يعلم أن أفضل ما يكون الأدب وأنجح ما تكون التربية هو ما يتم في المراحل الأولى من نمو الإنسان ولا سيما في فترة الشباب حيث يصل النمو إلى قمته شيئا فشيئا حتى يبلغ ذروته وتشتعل جدوته، ويصبح مثله كمثل الحديد الساخن الطبع الذي يلين مع التشكيل، ويتكيف مع التحويل والتعديل، ثم إذا ما انصرم الشباب ليس شيئا فشيئا ولكن إسراعا وهرولة كان من المستحيل على المرء أن يتشكل من جديد لبرودة الحديد.

ومن ثم كانت عناية المربي الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم باحتضان الناشئة والشباب من صحابته وبني صحابته ومن صورة هذه التربية المحمدية تقليده عليه السلام أسامة بن زيد قيادة الجيش المتجه إلى مؤته وفي المكان الذي استشهد فيه أبو أسامة قائلا له: سر إلى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل، وفي الجيش من فيه من كبار الصحابة وصفوتهم، وهذا يدعونا إلى أن إسناد المسؤولية إلى الشباب الواعي المستنير هو من أهم مقومات التربية.

والخليفة الصديق أبو بكر رضي الله عنه سار على قدميه يودع جيش الشاب أسامة بن زيد مؤثرا أن يعفر قدميه ساعة في سبيل الله، ثم ألا نذكر التوجيهات التربوية النبوية لبعض شباب الصحابة الذين كان يحيطهم عطفا وحبا وكرما وحدبا عند ما يقول: ياغلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف.

فاللفتات التربوية المضيئة في مثل قوله « وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» نستشف منها كيف أن رسول الله (ص) وظف في توجيهاته قيمة الإيمان بالله كسلوك ميداني في الحياة العملية، حيث يعي « المتلقي ضرورة البعد عن النفاق والرياء وعن الزلفى أو الترقب للمخلوق، ثم يشرح ذلك مطمئنا الغلام مشيعا الثقة واليقين في جوانب قلبه وأرجاء روحه عندما يؤكد له أن الضار والنافع هو الله سبحانه، لأن غير الله لا يملكون موتا ولا حياة، ولا نشورا مما يثبت في أعماق الغلام " التلميذ" قوة الإرادة حتى يمضي في ركب الحياة عضوا إيجابيا عاملا لا ينتابه يأس اليائسين.

وإذا كنا نعرف في ميدان التربية وطرق التدريس أن المعلم الناجح هو الذي يألف ويؤلف، وهو الذي يتمتع بجاذبية محببة بين تلاميذه الشباب. والآية التي جاءت في سورة آل عمران التي يمتدح فيها الله سبحانه الأسوة التربوية في قوله « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، هذه الآية تبرئة من الله لنبيه من الفظاظة التي هي سوء الخلق وخشونة الكلام، ومن غلظة القلب التي هي قسوة القلب وخلوه من الرحمة والشفقة ورقة الشعور، يبين الله سبحانه في آياته أن مثل هذه الخصال المرذولة تنفر الناس، وتحرمهم من الكنز التربوي الثمين والأمين الذي تزخر به مواقف السيرة المحمدية وتوجهاتها إلى الشباب قولا وعملا.

تعريف بكتاب

مشارق الأنوار في رياض الأزهار

إعداد
الأستاذ ،
محمد
الرمشاني

وهو كتاب في موضوع علم الطب

هذا الكتاب هو لمؤلفه العالم العلامة الفقيه المشارك النحرير الطبيب الحاذق الماهر سيدي محمد بن إبراهيم الجندوزي الجزولي نسبا النظيفي دارا ومنشأ السوسي رحمه الله

وهو شرح الهدية المقبولة في علم الطب لناظمها

أبي العباس أحمد بن صالح بن إبراهيم بن عبد المؤمن بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن يحيى الدرعي ، شاوي الأصل.

قال عنه العباس بن إبراهيم المراكشي في كتاب (الإعلام لمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام) في الجزء السادس ص 330 بالمطبعة الملكية بالرباط مايلي:

842 محمد بن ابراهيم النظيفي

محمد بن إبراهيم بن الحسن الهشتوكي المراكشي النظيفي ، مختصر العمل الفاسي الرباطي.

الفقيه العلامة المحصل الدراكة المشارك العارف بالفنون القديمة المفتي المدرس المؤلف، وشارح الهدية ،وألف في الجدول .

توفي رحمه الله في العشرة التاسعة من القرن الثالث عشر الهجري انتهى.

وذكر المختار السوسي رحمه الله في كتابه (سوس العالمة) ص 201 مطبعة فضالة:

هو محمد بن إبراهيم النظيفي نزيل مراكش

له شرح الهدية في الطب للدرعي ، ومختصر شرح العمل الفاسي للرباطي ومؤلف في الجداول. لكن الشيخ المختار السوسي لم يذكر اسمه في عداد الأطباء المشار إليهم في الكتاب المذكور عند تعرضه لموضوع علم الطب عند السوسيين.

وتوجد تعريفات وتنويهات بشخصية المؤلف سيدي محمد بن إبراهيم النظيفي بمقدمة برنامجه الذي وضعه كدليل أو كفهرس للاطلاع على موضوعات كتابه " مشارق الأنوار" ، ولا ندري من الذي وضع هذه الترجمة المهمة التي تعرفنا كثيرا وتطلعنا على قدرات المؤلف ومشاركته في عدد من الفنون على اختلاف مواضعها، والتنويه بمكانته العلمية، وهذه الترجمة أشبه ما تكون بتقريض لهذا الشرح ، لعله وضعه له أحد أصدقائه ولم يذكر اسمه ، وعلى كل حال فهو تعريف دقيق استطعنا بواسطته أن نتعرف أكثر على المؤلف ومؤلفاته ومكانته العلمية.

كلمة المحقق:

يقول مصححه محمد بن عبد المجيد الرمشاني) بعد مراجعة هذه المنظومة مع شرحها للعلامة محمد بن إبراهيم النظيفي السوسي الجندوزي ، المتوفى عام 1285 هـ . رحمه الله المسمى (مشارق الأنوار في رياض الأزهار) والذي كان قد انتهى من تأليفه هذا عام 1266هـ

وجدت ترتيب أبياتها مخالفا كثيرا لما في النسخ المتعددة لهذه المنظومة فكلها يختلف بعضها عن بعض ، في التقديم والتأخير لكثير من الأبواب والفصول وأحيان في بعض الأبيات ، وكذلك وجدت اختلافا في بعض أشطارها ، وعثرت أيضا على أبيات في الشرح المذكور لم تكن موجودة في كثير من النسخ ، ثم إن هناك أبياتا موجودة في بعض النسخ المذكورة لم يتعرض لها الشارح المذكور في شرحه.

وكنت أعتقد أن ذلك كان تصرفا من النساخ حتى تبين لي أن الشارح هو الذي غير المنظومة المذكورة حيث قدم وأخر في كثير من المواضع ليربط بعضها مع بعض حسبما ظهر له . وذلك ما أشار له هو صراحة في برنامجه الموجود في كثير من النسخ.

كتاب مشارق الأنوار

وشرح النظيفي هذا يعد أضخم شرح لهذه المنظومة ويعتبر بحق من المؤلفات القيمة النادرة المفيدة وهو موسوعة في بابه.

ويقع في 625 صفحة إلى 21 سطرا.

ونحن الآن بحول الله قمنا بتحقيق الشرح المذكور اعتمادا على ست نسخ. ورغم الصعوبات التي تعترضنا في هذا الصدد إذ أن النسخ الستة المذكورة التي بيدي ، خمسة منها مصورة وواحدة أصلية وهذه الأصلية بها بتر في الأخير.

وبما أن الشارح رحمه الله جعل شرحه للمنظومة المذكورة مخيطا، حيث جعل النظم باللون الأحمر والشرح باللون الأسود لأنه اتبع طريقة فنية كانت معروفة عند العلماء الشارحين للمتون سواء كانت نظما أو نثرا، إذ أدخل كلمات في صلب النظم " توضيحا للمعنى " قد يكون ما بين حرف العطف ، والمعطوف أوالمضاف والمضاف إليه، أو الصفة والموصوف ، إلى غير ذلك ، مما يتعذر معه تمييز ذلك في النسخ المصورة ، ولكننا حاولنا تفادي هذه الصعاب بالمقابلة مع نسخ النظم المتوفرة لدينا.

وفي حالة نادرة وجدنا بعض الأبيات غير موزون رغم مقابلتها مع نسخ النظم أو الشرح وتركناها على حالها.

كلمة عن موضوع الكتاب

لقد كان الطب القديم كافيا لأهل عصره آسيا لمرضاه، وكانت مفرداته معروفة ومنتشرة بين ظهرانهم ، يجدون فيها الدواء ويلتمسون من ورائها الشفاء ، وكانت هذه النباتات تغنيهم عن صيدليات اليوم ومساحيق الكمياء والتراكيب المعقدة، ولكن هل استغنت صيدلياتنا عن نباتات آبائنا وأجدادنا ؟ وهل الطب الحديث على الرغم من تقدمه قادر على وقايتنا اليوم من الأمراض ، أو هل هو قادر على شفائنا إذا وقع أحدنا فريسة المرض هذا هو السؤال؟

وهل هذا هو السؤال الذي حملنا على مطالعة ودراسة كتاب " مشارق الأنوار " لمؤلفه سيدي محمد بن إبراهيم النظيفي.

وقد تصادف في الناس اليوم حيال الطب القديم رجلين:

. رجل يسخر منه كل السخرية حين يقارنه بمعجزات الطب الحديث وفي هذه السخرية . له كثير من الصواب وشيء من الخطأ.

. رجل يؤمن بالطب القديم إيمانا أعمى.

وفي هذا الإيمان جانب قليل من الصواب ، وجانب من الخطإ، وقد عشنا ولاحظنا أكثر من حالة عاد فيها أصحابها من الحديث إلى القديم ، بعد أن أعجزتهم الحيلة، وهذا شيء معروف عند كثير من الناس ، فما أن يعجز الطب الحديث عن علاج مرض مستعص ، إلا ونجد من عامة الناس من يرشدك مقتنعا، ومباشرة إلى الاستنجاد بالطب الشعبي ، وهذا شيء شائع ومعروف عند الجميع ولا ينكره إلا مكابر معاند.

إلا أن المشكلة هي ليست في الطب القديم الآن في حد ذاته ، وإنما في الجهل به، والجهل بمعطياته كعلم، تشخيصا وصيدلية وتركيبا وغير ذلك، فقد اختفى هذا العلم من بين علماء الإسلام منذ 150 عاما أو يزيد ، ولم نسمع بمن يتعاطاه بطريقته الأصلية في جميع أنحاء العالم الإسلامي ، إلا ما نسمعه ببعض المدارس بالباكستان ،، قيل لنا أنها مازال بها أطباء يتعاطون الطب العربي القديم أي الأعشاب ، والمعادن ، والحيوان، والماء الحار، والكي ، والفصد، والحجامة، والبط، والجراحة، والربط، وغير ذلك، كما سمعنا ببعض الفئة القليلة من المتعاطين لهذا النوع من الطب بسلطنة عمان ، ولا ندري ماصحة ذلك.

أما هنا بالمغرب فقد أدركنا أناسا يتعاطون الطب التقليدي الشعبي عن تجربة وبدون دراسة متبعة ولا قواعد مضبوطة ، ومن بين هؤلاء الدادسيون في ناحية قلعة مكونة ، هؤلاء كانوا يتعاطون أخطر الجراحات وعرفت أنا شخصا منهم كان بمدينة وجدة حوالي سنة 1978 يتعاطى جراحة العيون ، وقد حضرت له أكثر من عملية جراحية ، وكان يمارسها بتلقائية وشجاعة نادرة ، وكانت عملياته كلها ناجحة.

وأذكر من بين هذه العمليات أن أحد أصدقائي بوجدة كان له ابن أصيب بحبوب خطرة تحت أجفان عينه ، وهذه الحبوب كانت حمراء لها رءوس بيضاء وكانت كثيفة جدا ، حتى منعت هذا المريض من تحريك أشفاره وعاقته عن النظر ، وبعد أن عرضه والده على طبيب مختص بأمراض العيون ، قال له هذا الطبيب اتركه حتى يصل عمره إلى 16 عاما فإنه سيشفى ، ولم يتحمل والده ذلك ، وتذاكر معي في هذا الأمر ، وأرشدته إلى هذا الطبيب الدادسي واسمه أحمد ، كان يسكن بحي لازري بوجدة رحمه الله ، وجئنا به إلى الطبيب وكم استغربت حينا بدأ يقلب أشفار المريض ، وأخذ موسى وبدأ ينجر في الأشفار وكأنه ينجر في الجزر، وهو يعمل ذلك بسرعة ويتكلم معنا وكأنه يعمل أمرا عاديا غير مبال تماتا بما يفعل ، وذلك لثقته بنفسه، خاف والد الطفل من ذلك وخرج ولم يستطع حضور العملية ، وفعلا شفي الطفل تماما من هذا المرض بعد أسبوعين وكأنه لم يصب بأي شيء،،

وهناك أدركنا أشخاصا بناحية قلعة السراغنة يسمون : "بالعرارشة" كان هؤلاء يتعاطون جراحة الرأس وبعض الأعضاء،، وسمعنا عنهم الشيء الكثير في هذا الصدد، وغير ماذكر كثير هنا وهناك ، ولكن يبقى ذلك في إطار الطب الشعبي التقليدي الغير المدروس المعتمد على الوراثة.

وللأسف لم يقع الاعتناء بهذا العلم ، ولا أدري ما السبب الذي جعله يختفي من بين ظهران المسلمين في جميع أنحاء العالم الإسلامي ، وتعجب كثيرا حينما ترى هذا الكم الهائل من المؤلفات المكرورة في علم الفقه والنحو والنوازل والتصوف والأذكار والأدعية والأدب وفنونه وغير ذلك من الكتب المنقولة بعضها عن بعض ، كل هذا الفيضان من المؤلفات التي تجد اليوم نفسك غارقا فيها ، ولكنك في المقابل لا تجد كتابا من هذه الكتب العلمية ككتب علم الطب ، وعلم الصيدلة ، وعلم النبات والأعشاب ، وعلم الفلك، وعلم الهيئة ، وعلم الرياضيات ، وعلم الهندسة ، وعلم الفلاحة ، وعلم الكيمياء ، وعلم الميكانيكا ، وغير ذلك من الفنون والصناعات.

كل هذا العلوم لا تجدها إلا باللاتنية أو مترجمة عنها.

تابع...(ص10)

معاني الهجرة النبوية

إعداد الأستاذ عبد الغني أفقير

يطوف الفلك ما يطوف في ساحة عمره المديد، فلا يقدم بين حوادثه الجليلة أروع من هجرة رسولنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثلا أعلى تستلهم النفوس عبره، وتستوحي هديه وتستضيء بأنواره ، او من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ، سورة الأنعام.

وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو الهداية التي تألقت في آفاق الدنيا بعد أن نصره الله بالهجرة ، فأخرج الناس من ظلماتهم إلى نور ربهم وصدق الله العظيم: يا أيها النبيء إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، سورة الأحزاب.

وإن من يتأمل الحوادث المريرة التي سبقت الهجرة والتي تحمل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فيها ألوانا من الاضطهاد والأذى ليعلم أن سنة الله مطردة في الكون:

الفرج بعد الكرب ، والسعة بعد الضيق ، واليسر بعد العسر، والنصر بعد الصبر...

كل هذا مر على رسول الله (ﷺ) حاصرته قريش في الشعب وقاطعوه ثلاث سنين فلم تجر بينهم معاملات تجارية ولا بيع ولا شراء ، ومنعوه حتى من الأشياء الضرورية ، أوذي عليه الصلاة والسلام في نفسه وفي اتباعه فكان يصبرهم ويطمئنهم بإن العاقبة لهم وأن الحق لابد منتصرا ، وأن الباطل لا شك مندحر.

كان المؤمنون يسمعون لرسولهم فلا يرتابون فيما يقول ويزدادون نضالا وجهادا وتثبيتا ، ولكن من أين الانطلاق؟ إنه لابد من التحول إلى بلد غير هذا البلد الظالم أهله ، الذين أعماهم حب اصنامهم وحرصهم على تقاليد آبائهم ، وشاءت حكمة الله أن تكون المدينة المنورة التي كانت تدعى من قبل " يثرب " هي مركز الإشعاع، ونقطة الانطلاق، ويصدر الأمر الإلهي لرسوله الكريم بأن يهاجر إلى المدينة ، وتشعر قريش بالأمر، وتقدر ما ينتج عن هجرة النبي (ﷺ) من خطر كبير على كيانها وحياتها وآلهتها فيجمعون أمرهم ويبيتون مكرهم ويقررون اغتيال الرسول الكريم (ص) ، ولكن الله سبحانه وتعالى أنزل وحيه على نبيه يخبره بما ائتمرت به قريش.

« وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك» سورة الأنفال

وتمت الهجرة وحدث ما حدث فيها من تدبير حكيم للرسول (ﷺ) ومن معجزة خارقة بإرادة الله تعالى، ووصل الرسول عليه الصلاة والسلام المدينة واستقبل استقبالا مهيبا يتناسب مع عظمة القادم المهاجر العظيم وسرعان ما أسس الرسول (ﷺ) دولة ، وأعد الجيش ليعود إلى الأرض التي أخرج منها وبرغم أنف المعتدين الظالمين .

لقد هاجر الرسول الكريم (ﷺ) من مكة ، وانطلقت الحقيقة المؤمنة من قيود الباطل ، وانبثق النور السماوي من خلال سحب الظلام، إن سيدنا محمد (ﷺ) قد هاجر ، وكتب للرمال أن تقبل الخطا المباركة، وللغار أن يتيه على أعظم القصور عزة وفخامة. لقد استنار جبين الزمان بنور جديد، فكان يوم الهجرة المباركة ، وكان للإسلام عيدا وإنه لعيد مجيد يحتفل به المسلمون لا ليعيدوا للهجرة حيوية ضَعُفت، ولا ليجددوا للهجرة ذكريات تقادمت، بل ليستمدوا القوة من عزيمة الرسول (ﷺ) ويأخذوا العبرة من الماضي البعيد.

أيها المسلمون ، إن في عيد الهجرة أعيادا كلها روعة وعزة وفخار ، إن من أعيادها الرائعة المتألقة عيد الوفاء في أروع مظاهره ، ويتمثل هذا واضحا جليا فيما فعله الصديق (رضي الله عنه) فقد أعد للأمر عدته وقدم لصديقه روحه وماله ودمه فكان خير مثال للوفاء المر ، فصابر المكاره وعالج العقبات، فكان خير مثال يقتدى في مثل هذه المحن.

ومن أعياد الهجرة وذكرياتها عيد الفداء، ويتمثل هذا واضحا جليا فيما فعله علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقد أمره الرسول صلى الله ليه وسلم أن ينام على فراشه حين مغادرته هو المكان فلم يتردد وأسرع للإجابة . وهو يعلم أن شباب قريش قد أحاطوا بالمكان وأن الموت الأكيد يلمع في أسنة السيوف بباب مرقده (رضي الله عنه) فكان خير مثال للفدائي الجريء البطل،

فقد روي أن الله تعالى قال لجبريل وميكائيل : إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فمن يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كل منهما الحياة، فقال لهما: هلا كنتما مثل علي ابن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد فآثره على الحياة وفداه بنفسه، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه ، فهبطا إلى الأرض ووقف جبرائيل عند رأسه وميكائيل عند قدميه يحرسانه حتى الصباح وهما يقولا: بخ بخ ، لك ياابن أبي طالب فإن الله يباهي بِك مَلائكته.

إن من ذكريات الهجرة وأعيادها تلك الكلمات الموحية التي قالها الرسول (ﷺ) وهو يخرج من مكة معبرا بها عن حبه لوطنه، وتعلقه بمسقط رأسه، يتلفت إليها بشوق وحنين ويقول: « إنك لأحب بلاد الله إلى الله، وإنك لأحب البلاد إلي، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت»

إن الهجرة ليست هربا من الشدائد ، ولا بعدا عن مواجهة الأخطار إنما هي فتح جديد في حياة النضال والكفاح، واستعداد مركز لدحر الظالمين وقمع المعتدين.

(تتمة ص9)

.... والغريب أننا اليوم ونحن في عام 2005 مازالت تطالعنا المكتبات بمؤلفات أقل ما يقال عنها إنها مسخ ومسح وقرصنة من أمهات الكتب القديمة، في صلف وقلة حياء ، مازلت تجد من يؤلف في علم القرآات، ومن يؤلف في النحو، ومن يؤلف في الفقه ، وغير ذلك، بالله عليكم انظروا ماذا ترك شراح الشاطبية وغيرها، وماذا ترك حواشي شراح الألفية، وماذا ترك شراح المختصر وغير ذلك مما يطول تعداده ، وهاهو فيضان على فيضان، وإسراف على إسراف ، وتبذير على تبذير في الورق ونفقات الطبع ، هذه الأموال التي تنفق على هذه المؤلفات المكرورة ، التي هي " انقل من هنا وضع هنا وقل هذا تأليفنا" لو أحصيت هذه الأموال لأدهشتنا ، في حين أن كثير من المؤلفات القيمة النادرة التي ما زالت قابعة في رفوف الخزائن لم يطلع عليها أحد إلى الآن ، وهي ما زالت تنتظر من يخرجها إلى النور.

أما عن المؤلف .بفتح اللام." مشارق الأنوار في رياض الأزهار"

أنا في الحقيقة لا أدعي أنني سأقول في هذا المؤلف الكلمة الفصل ، إذ لست متخصصا في موضوع هذا الكتاب ، ولكنني أستطيع من خلال مراجعته ومقابلته مع نسخ متعددة، أنه جهد عملي بارز يكشف عن حجم المشاركة العلمية التي أسهم بها هذا المؤلف ، رغم أن جهوده ومشاركته توزعتها مجالات كثيرة ، لم يكن الطب إلا صنفا واحدا منها . كما تلاحظ في قائمة مؤلفاته المتنوعة الفنون، ومع ذلك فإن هذا المؤلف الطبي يشكل أثرا نفسيا في تاريخ الكتابات الطبية العربية عموما ، والمغربية على وجه الخصوص ، وإن كانت عناية الدارسين لم تتجه إليه لاستجلاء ما تضمنه من عناصر الجدة والإبداع ، وقد برع المؤلف في ترتيب وتصنيف فصوله وأبوابه محددا الغاية من الكتاب ، إذ تعمد استخدام لغة بسيطة ميسرة متجاوزا في أحيان قليلة دائرة الانضباط اللغوي الصارم متوخيا في ذلك تيسير العبارة على الطلبة والراغبين ، ولذلك كانت معلومات الكتاب لا تخاطب أهل الاختصاص إلا في العموميات المشتركة ، على أن ذلك لا يعني اي قصور في استقصاء المادة الطبية المناسبة ، وحرصا منه رحمه الله على تعميم الفائدة تجده أحيانا يترجم كثيرا من المفردات الطبية، سواء كانت أعشابا أو حيوانا أو أمراضا إلى اللغة البربرية ، ولا غرو في ذلك فهي لغته الأصلية، فهو التنظيفي الذي ينتمي إلى قبيلة " إذ أنكظيف " وهي إحدى قبائل سوس القريبة من قاعدة سوس " تارودانت " وتجده أحيانا يترجم ذلك إلى اللغة العامية الدارجة صراحة .

ومما يؤكد هذا المنحى اعتماد المؤلف في تشكيل الوصفة الدوائية على الميسور الشائع من الأعشاب والنباتات المحلية أو شبه المحلية مما لا يتعسر وجوده في كل بيت أوحي ولعل هذا يوفر خدمة إضافية قصد إليها المصنف لتسهيل السبيل أمام إسعاف علاجي في الحالات الطارئة التي تستدعي تدخلا سريعا، وقد زاوج المؤلف في كتابه على طريقة الأطباء القدامى بين الطب الوقائي والطب العلاجي ، محددا وصفاته بدقة عالية معتنيا بأحجام وأنواع الحصص الدوائية محذرا من التساهل بالإفراط او التفريط ، وأورد أحيانا بعض صنوف العلاج التي لا تخضع لمقررات الشرع واضعا المتعالج بذلك أمام ضوابط التزامه الديني والأخلاقي ، وهو بذلك يعرض المادة في حياد وأمانة .

ولعل من الأكيد أن المؤلف لحرسه على العلم وفنونه وممارسته جعل همته الطموحة وشغفه العلمي يدفع به إلى أن يشارك أهل هذه الصناعة هموم صناعتهم ، خصوصا وأن المؤلف قد يكون لمس ذلك الفراغ الذي تعانيه المكتبة الطبية في زمنه في مجال المؤلفات الطبية الميسرة التي تحقق رغبة الطالب المتحمس الذي لا يملك القدرة والأناة لمراجعة كتب الطب التي قد لا يهتدي إلى بغيته فيها وسط ندرة المؤلفات المخطوطة المفيدة.

فعمل المؤلف بهذا المعنى قد يكون إثراء لهذه المادة وجمعا لشتاتها وسدا للفراغ وما ذلك منه رحمه الله إلا استدراكا لما قد يكون غير متيسر للمتعطشين لهذا العلم، وذلك قصد تقريب المادة للدارسين.

ورغم أن الإمكانيات التي يوفرها هذا الكتاب هي غنية ومستفيضة ، إلا أن التنظيفي يجد الوسيلة لتبليغ ما يريد ، وفي هذا المجال حدد لنا بعضا من مراجعه التي اعتمدها في إعداد هذا المؤلف الضخم ، وأحال في أحيان أخرى على مظان البحث لتقصي المزيد من التفاصيل والجزئيات.

فهو ينقل بتصرف من تذكرة السويدي، وكنز المحتاج للروداني ، والنزهة للأنطاكي ، والإيضاح للشيرازي، وعن الدرر المحمولة للدرعي، والميمية للشيخ الرئيس بن سيناء، وتذكرة داوود الأنطاكي ، والشبي والهارونية لابن الحكيم ، وابن الجزع، والقانون لابن سيناء ، وغير ذلك.

ولعلنا في غنى عن أن نقول أنه ليس يغض من قيمة هذا الأثر العلمي ما تعرفه الصناعة الطبية اليوم من تقدم على مستوى التقنية العلاجية أو التحليل ، والتشخيص.. الخ فإن جوابنا على ذلك الحكمة العربية الشائعة " يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر " أو يو جد في الوادي مالا يوجد في المحيط الهادي " على أن الجانب الأهم الذي نود التركيز عليه ، هنا هو القيمة التاريخية لمثل هذه الآثار التي تعتبر في عصرنا خلاصة جيدة للمعارف الطبية المتداولة .

ونود أن لا يفهم من هذه الملاحظات العامة أننانقصد أننا استفينا الكتاب حقه دراسة وتحقيقا ، فإن ذلك عمل لم يحل أوانه بعد، وهو أمر يتطلب مزيدا من الدراسة على مستوى الشكل تحقيا وتوثيقا ومقارنة، وعلى مستوى المضمون دراسة وبحثا، ونقدا ، وهو أمر لا يغيب على البال ، نرجو أن يفرغ له بعض أهل الاختصاص في مستقبل قريب.

نص الكلمة التي ألقاها فضيلة العلامة عبد الله اجديرة رئيس المجلس العلمي بالرباط

موضوعها: من مغزى احتفال المغرب بذكرى 11 يناير 1944 م المجيدة الخالدة

أيتها السيدات الفضليات الكريمات، أيها السادة الأفاضل الكرام، أحييكم التحية الطيبة المباركة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد:

مِمّا نصّت عليه وثيقة المطالبة بالاستقلال الخالدة التي نحتفل اليوم بذكرى التوقيع عليها، وسنستمر على تخليد هذه الذكرى بخلود أمّتنا المغربية، إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها وما عليها وهو خير الوارثين، هذا النص الواعي الحكيم الحصيف الذي تقول فيه هذه الوثيقة بالحرف: «... وحيث إن الأمة المغربية التي تكوّن وحدة متناسقة الأجزاء، تشعر بما لها من الحقوق، وما عليها من واجبات، داخل البلاد وخارجها، تحت رعاية مَلكها المحبوب، وتقدرُ حقّ قدرها الحريات الديمقراطية التي يوافق جوهرها مبادئ ديننا الحنيف، والتي كانت الأساس في وضع نظام الحُكم بالبلاد الإسلامية الشقيقة ....

سيداتي الفضليات الكريمات، سادتي الأفاضل الكرام، لو أمْعنّا النّظر بالفكر الواعي والقلب اليقظ في هذين السطرين من وثيقة المطالبة بالاستقلال لوجدنا أن الكلمات المفاتيح فيها هي التالية:

. الأمة المغربية الموحّدة.
. ملكها المحبوب.
. دينها الحنيف.

ولو أننا نظرنا نظرة الفاحص المتبصّر الدقيق بعين البصر والبصيرة، لوجدنا أن هذه الكلمات النيّرة هي نفسها شعارنا الخالد الذي رفعناه ونرفعه: الله: ومن وحيه الكريم نستمد ديننا الحنيف، ثم الوطن: وبه وعليه وفيه نعيش وتمتد وتعز وتسمو أمتنا المغربية، ثم الملك: وهو رمز وحدتنا وضامن عزّتنا، وتحت لوائه نحمي حمانا .. وهو لنا محبٌ وهو في قلب كل مغربي حبيب ..

1. ديننا الحنيف هو عصمة أمرنا، به عرفنا ونعرف أننا أمة تنتمي إلى الإنسانية المكرّمة المفضّلة على كثير من خلق تفضيلا .. وإننا كباقي أبناء هذه الإنسانية الكريمة، لم نُخلق عبثاً، ولن نُترك سُدى .. فالله تعالى خلقنا لنتفكر فيمن حولنا وما حولنا .. خلقنا لنعرف أنفسنا والآفاق أمامنا وخلفنا .. لنرفع رؤوسنا متدبّرين خلق السموات والأرض، لنعلم أن الله تعالى ما خلق السموات والأرض باطلا سبحانه .. ومن ذلّ ورضي لنفسه الهوان والتبعية لخلق مثله، واستعذب فقدان حريته التي كرّمه الله بها ليرفع رأسه. فرداً حراً في أمة حرة. فيكون إنسانا حقا، فيه طهارة الملائكة واستقامتهم على طاعة الله .. ولا يرضى إلا بأن يترفع عن دنايا ما يشيع اليوم بارزا ظاهرا في بعض الأمم والأفراد من أخلاق ما يسمّيه بعض خيرة أهل الفضل من علماء المسلمين: أخلاق السباع والبهائم والشياطين: الافتراس وطلب القهر والغلبة والحقد .. وأمثال هؤلاء إن تمكنوا تفرعنوا، وإن تُمكّن منهم خنسوا وتمسكنوا .. والتاريخ والواقع يشهدان أمس واليوم .. والأيام دول، من سرّه زمن ساءته أزمان، ومن أجل هذه الحقيقة علّمنا الله تعالى ألا نظلم وألا نرضى بأن نُظلم، فقال في كتابه الحكيم: « ... ولا يَجرمنّكم شنآن قوم أن صدّوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا، وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله، إن الله شديد العقاب » (سورة المائدة، الآية: 3) ومن أجل هذا وقع ستة وستون مغربيا وثيقة المطالبة بالاستقلال يوم 11 يناير سنة 1944، لأنهم أحرار قلوباً وقوالب، يمثلون إجماع أمة مغربية تأبى إلا أن تكون حرة ظاهرا وباطنا .. وملكها المحبوب تعرف هي عن بكرة أبيها أنه حرّ يريد أن يكون ولي أمر على أحرار، فتقدّموا إليه بعريضتهم يرفعونها إليه في ثقة وإيمان، ليواجه بها عبيدِ أنفسهم من عُتاة المستعمرين الغشمة الظلمة، فإن هم عرفوا الحق لأهله واعترفوا به مُنقادين .. وإلا فإن مقاومتهم بكل الوسائل حينئذ لن تكون اعتداء، وإنما هي انتزاع لحق مغتصَب من بين أنياب أناس فقدوا إنسانيتهم، حين طغت على أنفسهم أخلاق السباع والبهائم والشياطين بحب الافتراس، وطلب القهر، وشهوة الغلبة، ورذيلة الحقد .. وكان لسان حال هؤلاء الأحرار الستة والستين الذين مثلوا الأمة المغربية في تحرير وثيقة الاستقلال وكتابتها وتوقيعها ورفعها إلى مَلك البلاد المحبوب المفدّى، ليوافق عليها ويجابه بها المستعمر الغاشم، يردد قولة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟».. فإنّ فاءَ المفترسون طلاب القهر المستسلمون لشهوة الغلبة الذين تغلي في أعماقهم رذيلة الحقد إلى الحق والصواب، وما أجمعت عليه الإنسانية من حرية الإنسان وكرامته، وإلا فالحكم الفصل قول الله تعالى: «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين».

والمغربي الحر لا يرضى بالاعتداء على دينه، ولا على وطنه، ومَلكه المحبوب متربّع على عرش الوطن، كما هو متربّع على عرش قلبه ...

2. وأما وطننا الحبيب بسمائه وأرضه، ببره وبحره، بسهله وجبله، بصحرائه وخضرائه، بكل ذرة من ترابه، فهو منّا في حَبّة القلب، بكل من فيه وما فيه ... وطننا هذا الحبيب نريد أن نعيش فيه أحراراً أغنياء أجواداً أسخياء كراماً كرماء أقوياء متوادّين متراحمين متحدين يؤْثر بعضنا إخوته فيه بإنسانيتهم على نفسه ولو كانوا من غير مواطنيه، ولو كانت به خصاصة .. ومن يُرد أن يسلبنا شبراً من أي جزء من هذا الوطن نقف له بالمرصاد لنأطره على الحق أطرا، أو يذق منا الصاب والعلقم .. وطننا الحبيب أرضه تهتز وتربو بإذن ربّها لتنبت لنا من كل زوج بهيج، فنأخذ زخرفها وتزيّن، لتنتعش فيه وبه أرواحنا وأجسامنا ... فواجبنا الأول نحوه أن يكون بيننا من المعاملات ما يوافق ما يقدّمه لنا هذا الوطن من خيراته من سمائه وأرضه، وما نرضي به ربنا بأن نقيم بيننا من الشرع الحكيم والعُرف القويم في غير شدة ولا ضيق ولا عُسف ولا عُنف .. بالعلم والعمل، وبالحق والعدل والإنصاف، على نهج واضح مجمَع عليه من كل أبناء هذا الوطن .. لا يخرج عليه إلا مارق أو منافق أو عدو كاشح .. يواجَه أولا باللين والحسنى والعفو والصفح والسلام والحكمة .. ثم بعد أن يظهر منه أنه لا ينفع معه إلا المقاومة بالشدة تحت لواء وليّ الأمر المَلك المحبوب، عن أمره وبأمره، فليس لأحد آنذاك إلا الطاعة .. وتلك كانت حكمة تحرير وثيقة المطالبة بالاستقلال يوم 11 يناير 1944م .. وذلك مغزى تقديمها إلى المَلك المحبوب المفدّى بالطريقة التي قدّمت بها .. وليس بغال على الوطن الحبيب أن يُفتدَى بالأرواح والدّماء إن اقتضى منا ذلك .. فذاك من المجاهدة في الله .. وذاك هو ما يريده منا ربنا جل علاه حين يقول: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبُلَنا، وإن الله لَمع المحسنين» (سورة العنكبوت، الآية: 69).

3. وأما مَلكنا المفدّى المحبوب، فهو فينا أمير المؤمنين، وحامي حمى الوطن والدين .. له في أعناقنا بيعة شرعية، أخذنا له فيها على أنفسنا عهد الطاعة والولاء والوفاء، فيما يُرضي الله مما يعود على وطننا بالسعادة والرخاء .. وأن يستمر عهدنا له وثيقاً موصولاً في كل حين وعلى كل حال، حتى لا نختلف فيخالف الله بين قلوبنا، فيتسلط علينا أعداؤنا ممن يتربّصون بنا، لينتهزوا فينا فرصة ضعف ... وأمير المؤمنين مَلكنا المفدّى المحبوب تلتف حوله قلوبنا، ليتوحّد به شعبنا، ويلتمّ به شملنا، ويُرأب صدعنا .. أهواؤنا الفردية، واتجاهاتنا الفئوية ننساها حين تتحد أغراضنا، وتلتحم غاياتنا تحت لوائه، لنكون الأمة المغربية، في وطنها، وفي ظل مَلكها .. يدها واحدة على من سواها، يسعى بذمتها أدناها .. وكل مغربي عال غال، إلا أن يرضى هوان التبعية لأجنبي دون أمته، وغير وطنه، وسوى ملكه .. فذاك شاقّ مشاق شقيٌ، وعاقبة شقاقه الحسرة والندامة في العاجل أو الآجل ... وتلك إحدى معان نفيسة نستخلصها من قراءتنا هذه لوثيقة المطالبة بالاستقلال التي قدّمتها شخصيات وطنية مغربية ست وستون، يتوّجها كلها مَلك البلاد المفدّى المحبوب محمد الخامس، ومعه وارث سرّه الحسن الثاني رحمهما الله تعالى وأجزل لهما الثواب .. وها هو مَلكنا الشاب حفيد محمد الخامس، وابن الحسن الثاني، على عرش بلادنا، وقلوبنا تلتفّ حوله، تسعد بالإخلاص والولاء والوفاء له .. ندعو له بألسنة الأحوال والمقال بالتوفيق والنّعَم وطول العمُر، وقرّة العين بولي العهد مولاي الحسن، وأخيه الشقيق مولاي الرشيد .. وبشعبه رخياً هنيّاً وفياً صفياً .. وأن يكون الله له ولشعبه نصيراً وليّاً .. وكلّ ذكرى وطنية أو دينية من ذكريات وطننا الحبيب وأنتم سعداء في أمن ويُمن وإيمان وأمانة ورخاء ...

والسلام عليكم سيداتي الفضليات، سادتي الأفاضل ورحمة الله تعالى وبركاته .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ..

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1102
السنة39
الجمعة 02 محرم 1426 هـ
الموافق 11 فبراير 2005 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين لاراباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1102 الجمعة 2 محرم 1426 هـ .الموافق 11 فبراير 2005م

مؤسسات التعليم الحر بمدينة آسفي ودورها في تدعيم الحركة الوطنية

إعداد الأستاذ: عبد الحميد الجواهري

رغم أن الوقت لايفي بالمطلوب فإني لا أرى مانعا بأن أدلي بدلوي حول التعليم الحر بآسفي والإقليم بدءا من الزوايا والمدارس الحرة وأن أسلط عليه بعض الأضواء على الأقل عسى أن يكون ذلك نبراسا لغيري يجد فيه كتفا من أين يبدأ، ومرقا شهيا يشفي فيه ضالته.

وسأبدأ رحلتي القصيرة من البادية أولا منتهيا بذلك إلى المدينة وماعشته وما عايشته من وفاء المخلصين الأبرار، والوطنيين الأخيار.

سمعت عن بعض الزوايا العلمية إبان الاستعمار، وما أكثرها شيوعا وانتشارا، أشهرها وأكبرها مدرسة سيدي العربي الناصري بعبدة. وقد حاولت أن تدخل الحداثة على برامجها التي كانت من اجتهادها الخاص. كما أن هناك زوايا منتشرة الأطراف بالشياظمة، أذكر منها زاوية الكراتي، وزاوية أقرمود، وزاوية رتنانة، وزاوية بوطريطش، وزاوية تاوريرت، وزاوية آيت بوعلام، وزاوية مرامر، وزاوية تكنشت، وزاوية مرزوق، وزاوية أمزيلات، وزاوية سكياط، إلى غير ذلك من الزوايا. لاأعلم عنها إلا القليل الذي لايفي، وأشهرهم وأكثرهم مردودا وشيوعا هي زاوية بنحميدة التي أنجبت عددا من العلماء والأجلاء، وقد أسسها سيدي محمد بن حميدة، تعرضت لكثير من الهزات، ونالت قهرا من طرف الاستعمار الفرنسي بواسطة عملائه، وهي الآن طواها النسيان فأصبحت في خبر كان من بين هذه الزوايا، الزاوية الماجرية، وهي تقع بمرتفعات الميسات بعبدة، هذه المنطقة التي أنجبت العديد من أهل العلم والدين والورع والتصوف، وعلى رأسهم الولي القطب الشيخ أبو محمد صالح دفين رباط آسفي والمتوفى سنة 631هجرية. وقد أسس هذه الزاوية الفقيه الحاج محمد بن رحال الماجري بعدما أنهى دراسته بفاس ورجع إلى بلده، وقد كان لها أثرها الحسن في بزوغ عديد من علمائها الأخيار وأنعشت التعليم الإسلامي في تلك المنطقة إلى أن توفي سنة 1334هـ، فخلفه فيها ولده السيد محمد الكبير وظل قائما بأمرها إلى أن وافاه الأجل سنة 1391هـ، كما ترك الأب ولدا آخر اسمه محمد الصغير، تعرفت عليه وربطت معه صداقة متينة، كان هو بدوره عالما نحويا وفقيها عمل بالعدالة وخطيبا بجامع سيدي الحاج التهامي ومدرسا بجامع الشيخ أبي محمد صالح الماجري، كنت أحضر دروسه بعد العصر، يشرح أمهات الكتب في النحو والفقه كالأجرومية وألفية مالك وابن عاشر في الفرائض وغير ذلك. وهذه الزاوية ماتت بموت الابن محمد الكبير، ولم يبق منها اليوم إلا الأطلال.

التعليم الحر بمدينة آسفي

بعد هذه التوطئة أدخل مدينة آسفي لأعرج عن مدارسها التي عاصرتها في المهد، وقد خمدت أنفاسها قبل نضجها بفعل محاربة المستعمر لها، فإزاء المد التعليمي الاستعماري الذي بدأ ينطلق داخل المدينة وهو يمتد إلى أطرافها لم يقف بعض المخلصين من أبناء المدينة موقف المتفرج العاجز، فقد ظهر تيار وطني يقاوم المدارس الرسمية الاستعمارية، تقوى بعد صدور الظهير البربري وتوفر بفعل القدرات الشعبية الساخطة على إحداث مدارس ذات توجيه وطني وإسلامي تعتمد مناهج جديدة وعصرية. وقد كانت في البداية محاولتان: الأولى على يد العلامة الفقيه الكانوني مع عالم الفلك الحاج محمد بلكاهية والفقيه السيد إبراهيم العويني، حيث أسسوا مدرسة في شكل كتاب قرآني أمام سور رباط آسفي، لكنها لم تعمر طويلا، إذ أغلقتها سلطات الحماية في مهدها، وتعرض مؤسسوها وطلبتها إلى الاستنطاق، كان هذا سنة 1930 تقريبا.

المحاولة الثانية: تم تأسيس مدرسة حرة في شكل كتاب بحومة ارحات الريح على يد العلامة الفقيه سيدي إدريس بناصر والفقيه السيد إبراهيم العويني، فكان مصيرها كسابقتها، إذ أسرعت الحماية إلى غلقها في مهدها بسبب خوض مؤسسيها في السياسة، ومناهضة المستعمر وقيامهما بمحاولة تدريس مواد تعليمية يخشاها المستعمر كتاريخ المغرب والجغرافية. ما أن خمدت الشعلة الأولى والثانية حتى ظهرت ثلاث محاولات أخرى كانت لها أهميتها على الساحة الثقافية والوطنية. فقد أسس ثلاثة أقطاب السلفية والوطنية بآسفي مدارس أخرى، وهم العلامة الصوفي مولاي عبد السلام مولاي الحاج، والعلامة الفقيه سيدي محمد الهسكوري والعلامة الفقيه الشاعر سيدي عبد السلام المستاري.

وهذه المدارس لم تنشأ عن فراغ، ولكنها كغيرها في باقي المدن المغربية، وهي تعزيز للمدارس الحرة التي ظهرت وتظهر من حين لآخر خاصة في الرباط وفاس، تروم مرامها في تحسين إصلاح التعليم التقليدي بأسلوب جديد مع استعمال السبورة والكتب المدرسية والكتابة في الدفاتر وتنظيم أوقات الدراسة والعطل والعمل على سد النقص في تعليم الأطفال والعمل على إنقاذ اللغة العربية التي تريد طمسها السلطات الاستعمارية والعمل على تنشئة الجيل على وطنية صادقة، رحم الله الجميع.

مدرسة مولاي عبد السلام مولاي الحاج

وكانت تسمى المدرسة الأهلية الوطنية، تأسست سنة 1934م، اتخذت مقرا لها "بدار القبة" وتعرف بدار القايد ولد عيسى بن عمر، لازالت حتى الآن توجد بزنقة ابن حزم بالمدينة القديمة، تضم تلامذة من مختلف الأعمار، بها كل المرافق المطلوبة، حيث تستوعب أزيد من 100 تلميذ وطالب، وقد أبدعت طرقا تعليمية وتنظيمية فريدة، رائدها نشر الفكر والوطنية، زارها الزعيم علال الفاسي سنة 1932م فعاين دروسها وامتحن تلامذتها وطلبتها الكبار، فسر باعتزاز وتقدير قائلا "بأنها قرويين صغيرة" كان مديرها من فطاحلة العلماء درس عن والده بآسفي ثم فاس وحاز إجازات من شيوخه، كانت المواد التي تدرس بها تفسير القرآن والحديث والفقه والفرائض والتصوف والأخلاق والأدب والتاريخ والجغرافية والنحو والبلاغة والمنطق والعروض والتوقيت والحساب. والطريقة المتبعة في التدريس هو تصنيفها إلى ثلاث طبقات. أي إلى ثلاثة فصول:

. طبقة مبتدئة تتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن.

. طبقة متوسطة تتعلم بعضا من علوم الدين واللغة.

. طبقة عليا تدرس كثيرا من العلوم.

وقد كان يدرس معه والده العلامة سيدي محمد مولاي الحاج، والعلامة العدل الفقيه لحسن واعزيز، والعالم الفلكي الفقيه بلكاهية، وكانوا مكلفين بالطبقة العليا، واستعان ببعض نجباء طلبته في تدريس الطبقة المتوسطة، ومنهم الفقيه سيدي محمد السرغيني والفقيه السيد محمد بن أحمد بن عبد الخالق، ومولاي التهامي بن علال الوزاني والسيد علال الوزاني والسيد محمد بن محمد بن بوزيد. والطبقة المبتدئة كان يستعين بمولاي التهامي السايسي والسيد محمد بنهيمة، وقد اعتمد طرقا جديدة كالسبورة والمجلات في التدريس والشرح، والدفاتر في الكتابة والتدوين. ومن المجلات والجرائد التي كان يقتنيها الأطلس لليزيدي والدفاع للزعيم الحسن الوزاني والنجاح من الجزائر والمصور من المغرب والأمل من سوريا إلى غير ذلك. وقد أنجبت عددا من الوطنيين وأهل العلم رغم مضايقة المستعمر لها حيث لم ينقطع عن مراقبتها بمختلف الوسائل بين الفينة والفينة، أو تستدعيه الباشوية صحبة المراقب الفرنسي أو تستدعي بعض تلامذته. وفي سنة 1936م طلب منه المندوب الفرنسي أن يوافيه بتقرير مفصل عن أنشطة مدرسته فكان يفعل تحديا لا خائفا، إلى أن توقفت المدرسة عن نشاطها كرها سنة 1945.1946م بسبب مرض ألم بمديرها ألزمه البيت حتى وافاه الأجل في 24 أبريل 1973م عن سن يناهز 80سنة والغريب أن هذا الوطني الغيور لازم بيته 28 سنة لم يخرج منه ولو عند الباب لكي لايرى نصرانيا أو خائنا من يعرف، وقد راسلته يوما على يد تلميذه المرحوم مولاي التهامي السايسي فأجابني بلطف ودعة وبراعة خط وأسلوب أقرأ من خلالها تصوفه وزهده وبعده عن الدنيا مما جعلني أحتفظ بهذه الرسالة إلى الآن، وبهذا خمدت جذوة هذه المؤسسة، فرحمه الله رحمة واسعة، ورحم الله الجميع.

مدرسة الهداية الإسلامية

بدأت مدرسة الفقيه محمد الهسكوري بفتح كتاب قرآني كباقي الكتاتيب القرآنية التي كانت في عهده آنذاك تناهز الأربعين كتابا، لكن هذا الكتاب لم يكن كباقي الكتاتيب الأخرى، إذ جاء معاصرا لافتتاح سلطات الحماية للمدارس الابتدائية العصرية، حيث برزت نقائص تعليم الكتاتيب مما جعل فقيهنا يتجاوزها إلى تأسيس تعليم وطني عصري قادر على مواجهة مد التعليم الاستعماري المشبوه والملغوم، لذلك جاء كتاب الفقيه الهسكوري مخالفا إلى حد كبير غيره، فأسماه الفقيه بـ "الكتاب القرآني العلمي" مخالفا بهذه التسمية لأسماء أصحابها، أشاع الفقيه هذا الإسم بين تلامذته ومعارفه من غير إشارة لكتابته في لوحة كبيرة فوق الباب، خشية مساءلة السلطة الذي كان يتوجس شرها ومضايقتها لكل جديد، سلك بذلك طريق التدرج والحيطة مازجا بين القديم والجديد ليصل إلى مبتغاه من تنظيم تدريجي حديث حتى لا يقف في نصف الطريق، قسم الفقيه الغرفة إلى قسمين، نصف فيه طاولات وسبورة، ونصف مفروش بالحصير على الشكل التقليدي، أما الطريقة التعليمية فهي خليط بين القديم والحديث، فهناك ألواح وصمغ، وهنا سبورة ودفاتر ومداد وطباشير، وبرامجه حفظ القرآن وتجويده وقواعد اللغة والفقه والعقائد والأخلاق والتدريب على الإنشاء والحساب والتاريخ والجغرافية، وبما أن السلطات كانت تمنع تدريس الحساب والتاريخ والجغرافية إلا في مدارسها كما يحلو لها، فإن فقيهنا كان يلجأ إلى حيلة يراوغ بها عين السلطة، منها مثلا إقامة عصا على باب الكتاب حتى إذا ما داهمته السلطة انتظرت حتى يزيل العصا، وبذلك يغير أسلوبه إلى مادة دينية أو استظهار للقرآن، وقد كان يستعين بمعلمين في تعليم التلاميذ مما جعل الإقبال على كتابه فاق سعته، فيضطر فقيهنا إلى الانتقال من مكان إلى آخر واسع ثم إلى آخر أوسع، فقد بدأ، أولا، بالزاوية القادرية بالقصبة ثم إلى وسط المدينة بدرب الحجامة ثم إلى محل فوقي بدرب بوجرتيلة ثم إلى الزاوية المصلوحية.

ومن الصدف الحسنة أن المرحوم محمد الخامس اتجه بكيفية حثيثة إلى تشجيع التعليم الحر ودعمه منذ سنة 1940م، ثم أن مندوب الصدر الأعظم المكلف بمراقبة وتفتيش الكتاتيب القرآنية أعطيت له صلاحيات واسعة منه سنة 1940م في مراقبة التعليم الأهلي، فكان بمثابة وزير التعليم المغربي، مما دفعه وبتأييد من الملك محمد الخامس رحمه الله إلى تشجيع الكتاتيب القرآنية وتحويلها إلى مدارس نظامية، فصار يعطي رخصا. ومن حسن طالع فقيهنا أن حزب الاستقلال بعد ظهوره في يناير 1944م وضع من أولوياته توسيع نشاط التعليم الوطني الحر بمختلف الأقاليم كند عنيد يواجه المناطق التعليمية الفرنسية دعما لنضاله الوطني، فأصبح الحزب يفتح المدارس الحرة ويتعهدها بمقررات دراسية وتنظيم زيارات تفقدية لها، وقد عرفت مدينة آسفي تكوين فرع لحزب الاستقلال فتكونت على التو خلية من الشباب الوطني فبزغ طالع الفقيه بالزيارة الميمونة للمغفور له جلالة الملك محمد الخامس إلى مدينة آسفي في29 مارس سنة 1945م فطلبت لجنة من حزب الاستقلال استقباله حيث طلبت منه الإذن بفتح مدارس حرة فأذن بذلك، ولاشك أن الفقيه كان وراء ذلك حيث تمتع بفتح مدرسة حرة وأخرى للفقيه المستاري سنذكرها.